إلى حرمنا المصونة
وجوهرتنا المكنونة
زوجتنا الحبيبة
نصره
داعيا الله أن يشملنا برضاه
المخلص
ابراهيم عبد العزيز
٨ من رمضان ١٤١٢ هـ
الخميس ١٢/٢/١٩٩٢م

الشعراوى

الداعية .. المجدد

ابراهيم عبد العزيز

دار الضياء
القاهرة

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م

الناشـــر
دار الضيـــاء
للطبع والنشر والتوزيـع
٢٧ شارع محمود الديب - الزيتـون
ت: ٢٤٨١٨١٨ - ص.ب حلمية الزيتون القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الشعراوى .. الداعية .. المجدد

(نشرت هذه الاحاديث تحت عنوان من خواطر الشيخ الشعراوى بمجلة الإذاعة والتليفزيون).

الإهداء ....

إلى إمام عصره

الرجل القدوة

الذى كسر تقليدية رجال الدين فثار على العمامة والزى المألوف وارتدى الطاقية والجلباب فكان بسيطا فى شخصه جديداً فى فكره فدخل قلوبنا وأثار عقولنا فجدد إيماننا وأمور ديننا على رأس المائة الهجرية الخامسة عشرة .

المؤلف

الفصل الأول

الرجـــل الموقـــف

الردود على هجومهم من سلوكى وليس من كـــلامى

الشعراوى

الناس يحسبون أنهم يستطيعون أن يقيموا أمة بالكلام ، ولكن الأمة لاتكون إلا بالقدوة وعندما نهمل قواعد الصدق عند الطفل فنحن قد فرقنا بين كلام يقال وفعل يفعل، وإذا انفصلت الكلمة عن السلوك انهدم كل شيء .

هكذا يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، وهكذا كانت حياته قولا وفعلا وسلوكا كل منها يطابق الآخر ، منذ مولده فى الخامس عشر من أبريل ١٩١١ فى بلدة دقادوس محافظة الدقهلية ، حيث كان الابن البكر ، ولذلك وهبه والده للعلم فى الأزهر . وككل أبناء الفلاحين ، حفظ الفتى كتاب الله مجودا وهو فى الحادية عشرة من عمره ، مما جعله مؤهلا للالتحاق بمعهد الزقازيق الدينى ، ولكن الفتى كان يحب الأرض والزراعة فحاول الهروب من دخول المعهد فوضع التراب في عينيه لكى يفشل فى الكشف الطبى ولكنه اكتشف أنهم يقبلون المكفوفين ، فتناسى عامدا بعض كلمات القرآن وأخطأ عن رغبة فى الخطأ فى قراءة القرآن أمام الممتحن كى لاينجح ويتخلص من الدراسة فى الأزهرولكن نظرة من والده جعلته يتراجع ويتلو القرآن وينجح فى الأمتحان ويستمر فى طريقه فى التعليم الأزهرى ، ولولا والده الذى تعهده بالتربية ، لما كنا قد سمعنا عن أكبر عالم دينى فى عصره ، ولكن تربية البيت والأسرة ، كانت هى البداية التى منها تحسن التربية ويستقيم العود ، إلى درجة أن والد شيخنا وإمامنا الشعراوى ، قد قام بتزويج ابنه وهو لايزال بعد تلميذاً فى مرحلة التعليم الأولى ، لكى يسد عليه منافذ الانحراف حتى قبل أن تكون له شهوة وغريزة جنسية ناضجة ، تجعله يفكر فى إشباعها ، وهكذا ترك والد الشيخ ابنه بعد أن وضع له أساس التربية القوى المتين الذى جعل منه قدوة فى سلوكه وفعله ، ولذلك يقول عن مهاجميه «إن الردود علي هجومهم من سلوكى وليس من كلامى»

وسلوك الشيخ الشعراوى يدل عليه سواء فى حياته الشخصية أو حياته العامة، ولذلك كما يقول الحق ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ البقرة آية ٢٨٢ .

وهذا مالمسناه منذ الحلقة الأولى التى أطل علينا منها الشيخ الشعراوى حين اكتشفه وقدمه لنا المذيع القدير أحمد فراج فى برنامجه التليفزيونى الأسبوعى «نور على نور» فدخل الشيخ القلوب ، وصار هو الداعية الذى انتظرناه لهذا القرن الهجرى ، قدرة على الكلام والإقناع ، أو كما يقول «محمود السعدنى» (وهو فوق كونه داعية ممتازا ولم

يسبق له فى تاريخنا نظير ، فهو أستاذ فى اللغة وعالم من علماء النحو ، ويستخدم علمه الغزير فى تفسير القرآن ، يساعدُهُ على الإقناع والانتشار موهبته الضخمة فى فن الكلام وفن مخاطبة الجماهير وهى موهبة لايتمتع بها إلاَّ النادر من الرجال ، وأشهر ثلاثة متكلمين فى تاريخنا الحديث هم عبد الله النديم وزكريا الحجاوى والشيخ الشعراوى) ..

ولذلك فالشيخ الشعراوى زعيما وإن لم يشأ أن يكون زعيما ، وكأىٍّ زعيمٍ لابد أن تمسه السياسة وألاعيبها ، فما بالك وقد أصبح فى قلب السياسة حين تولى وزارة الأوقاف فصار مسئولا فى الحكومة مسئولية سياسية ، مما شغله كداعية عن الناس ، ورغم ندمه علي قبوله منصب الوزير ، إلا أنه لم يكن نادما على التجربة ذاتها ، فهو يقول «لو لم أفعل شيئا غير إيقاف توفيق عويضة .. لكفانى ذلك» ومن هو توفيق عويضة ؟ إنه سكرتير المجلس الأعلى للشئون الاسلامية الذى شكاه ثلاثة وزراء أوقاف متعاقبين لسوء تصرفاته المالية ، والتحقيق لايتحرك ، حتى جاء الوزير «محمد متولى الشعراوى» ليفجِّر قضية نفوذ هذا الرجل فى استجواب قدم له بشأنه فى مجلس الشعب ، واستطاع الشيخ أن يسقط قلعةً من قلاع الفساد فى وزارة الأوقاف ، ولذلك يفخر الشعراوى بهذا الموقف الذى يحسب له كوزير ، كما أنه أوصل الوعاظ الى درجة وكيل وزارة ، واستثمر الشعراوى موقعه كوزير فى حكومة الدولة ليقول كلمة حق لرئيس الدولة نفسه ، وهو الرئيس محمد أنور السادات ، إبان أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ حين ألقى الشعراوى خطبة الجمعة من فوق منبر الأزهر ، فى حضور الرئيس وكبار رجال دولته ، فقال «.... إذا مانظرنا إلى الأحداث التى تمر هنا داخليا وخارجيا من محيطها الأبعد ، وخارجيا أيضا فى محيطها البعيد فى أمتنا الاسلامية وأمتنا العربية لوجدنا أن الأصل هو العزوف عن منهج الله» .

وأضاف الشيخ : فالكل يكره الإسلام ، لماذا ؟ لأنه عرف أن الإسلام إنْ ساد فلا وجود لطاغيةٍ فى الأرض ، ولا وجود لديكتاتوريةٍ تحكم الناسَ ، فهم يخافون على سلطانهم ويخافون على شهواتهم وأهوائهم أنْ يأتىَ الاسلام ليدكها دكا ..

وفى الوزارة كان على الشيخ أن يقول رأيه فى مبادرة السلام التى قام بها السادات إلى القدس ، فقال «على العربى أن يستقبل المبادرة استقبال المنصف العاقل

.. بعيدا عن جنوح العواطف غير متأثر بفروسيات الميكروفون وبطولات الشعارات ... وعلى العربى أيضا أن يستقبل نتائج المبادرة أيا كانت بروح المؤمن الواثق فى أنّ الله لن يخذله أبدا ، طالب سلام أو مضطر إلى صِدام» .

ورغم أن الشيخ العشراوى قد ترك الوزارة غير آسف ، فقد طاردته السياسة ، أو هو لم يستطع أن ينأى بنفسه عنها ، برأى وجب عليه أن يقوله إرضاء لربه وضميره ، وراح فى خواطره الإيمانيه حول القرآن الكريم يتناول الآيات التى تحدثت عن اليهود فاضحا غشهم وغدرهم ، مما جعل السفارة الاسرائيلية بالقاهرة تحتج ، وتطالب بوقف حلقات الشيخ بالتليفزيون ، بل وصل الأمر إلى أبعد من هذا ، حين شكا مناحم بيجن رئيس وزراء إسرائيل بنفسه ، من خواطر الشيخ الشعراوى التى يهاجم فيها اليهود ، بل ومنعت الحكومة الاسرائيلية ، جريدة «اللواء الاسلامى» المصرية التى تنشر هذه الخواطر من دخول الأراضى المحتلة ، وصادرت كل الأعداد التى ذكر فيها الشيخ «اليهود» .

ولم يسلم الشيخ حتى من المسئولين داخل وطنه ، فاحتجت السيدة جيهان السادات حرم رئيس الجمهورية على خواطر الشيخ التى يتحدث فيها عن المرأة داعيا الى تقديرها لدورها ومسئوليتها لرعاية متطلبات البيت بدلا من مزاحمة الرجل خارج البيت إلا لضرورة قصوى تضطرها للخروج ، وقيل إن حرم الرئيس فى ذلك الوقت كانت السبب وراء إيقاف حلقات الشيخ ، والإكتفاء باعادة حلقات قديمة ، وحين أعلن الرئيس السادات فى خطبته الشهيرة بمجلس الشعب ، عن الشيخ المحلاوى أنه «مرمى فى السجن زى الكلب» ، أرسل الشيخ الشعراوى برقية الى رئيس الجمهورية يقول له فيها

«إن الأزهر الشريف لايخرج كلابا ولكنه يخرج علماء»

فكان الشيخ الشعراوى هو الصوت الوحيد الذى قال كلمة حق ، فى وقت عصيب صمت فيه أكثر الناس ، وأيد بعضهم ماحدث بوعى أو بغير وعى ، تزلفا ونفاقا ليحسب لهم عند السلطان، فلما أفرج الرئيس مبارك عن المعتقلين فى قرارات سبتمبر أيدها الجميع بما فيهم الذين صمتوا عند صدورها خوفا ، أو الذين أيدوا نفاقا ، مما جعل الشيخ الشعراوى يتساءل قائلا «الذين فرحوا بالقرارات التى جاء بها مبارك ... أين كانوا حين صدرت هذه القرارات قبل أن يجىء ؟ كانوا فى زفة الحكم . فلما انتهى الحكم

قال كل واحد ماعنده ... ولذلك أعلم أن كل إعجاب بتصرف منه لطمة لسواه ، شيء آخر ، آفة الحكام بطانتها» .

ولم تكن كلمة الشيخ ، لحاكم مصر فقط ، بل قال كلمته لكل حكام المسلمين حينما وقف بين حجاج بيت الله الحرام فى مكة المكرمة ، الذين أتوا من كل بقاع الدنيا ، وقال لهم «عودوا الى حكامكم وقولوا لهم : إن من لم يقطع يد السارق ، فى نيته أن يسرق ، وإن من لايريد أن يرجم الزانى ، فى نيته أن يزنى» .

وظل الشيخ يقول مايعتقده ويؤمن به ، وهو يهدف كداعية ، أن يصل صوته بالإصلاح الى الجميع حكاما ومحكومين ، سواء على المستوى الشخصى ، الذى يحب فيه للآخرين مايحبه لنفسه ، أو على المستوى العام كمريد للإصلاح ، أو كما يقول

«إن دورى أنا هو استكمال إيمانى أولا ، ومعنى استكمال إيمانى أن هناك قضية من قضايا الدين تقول لى : لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه ، فإذا كنت قد ذقت شيئا من حلاوة هذا الدين الذى آمنت به ، فإن من كمال إيمانى أن أنقل هذه الحلاوة إلى سواى ... هذه أولا قضية شخصية ، وبعد ذلك ننتقل الى دورى .. إن كل مريد للإصلاح قد يبدو فى مظهر الإيثار ولكنه فى الحقيقة الواقعة مظهر الأثرة والأنانية ... لماذا ؟ لأن المصلح لايتحرك للإصلاح إلا إذا كان قد رأى فسادا ، فمن الخير لنفسه ألا يوجد فساد ، فحين يحارب الفساد فى أى مظهر من المظاهر لانقول أنه يصلح المجتمع فقط ، ولكنه يريد أن يكسب من هذا ، وأن يستريح ، لأن الإنسان حين يكون مستقيم السلوك يريح غيره ، وغيره إن كان غير مستقيم السلوك يتعبه ، إذن من صالحى أنا أن يكون الكل مستقيم السلوك »..

ويضيف الشيخ «فأنا الذى أستفيد لأن المجتمع استفاد من العلم عندى وأنا لم أستفد من جهله .. أنا بالعكس شقيت من جهله»

ذلك لأن الذين يختلفون مع الشيخ فى آرائه يعادونه ، بينما هو يقول لهم «إن رأيى خطأ يحتمل الصواب ، ورأى غيرى صواب يحتمل الخطأ» .

والشيخ الشعراوى يعتبر وجود أعداء له دليل نجاحه ، فيقول : إننى إن لم أُغضب

هؤلاء وإن لم أُثر حفظيتهم لاتهمت نفسى بالفشل» .

ويقول «أدعو الله لمن يهاجموننى ويعادوننى أن يهديهم الله ، ولكنى ممنون لهم ، لأنهم إن لم يهاجمونى فكأنى لم أفعل شيئا ، فمهاجمتهم لى دليل على أننى صنعت شيئا، والذى يدعو إلى الله وليس له أعداء يكون قد نقص حظه من ميراث النبوة لأن الحق يقول:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ . الانعام ١١٢

فالأنبياء أعداء ، وللعلماء أيضا أعداء لأنهم كما قال ﷺ «العلماء ورثة الأنبياء» ورثتهم فى ماذا ؟ ورثتهم فى الدعوة إلى الله ، وورثتهم بالتالى فى اكتساب الأعداء ، لأنه إن لم يكن للنبى أعداء فلماذا جاء ؟ لقد جاء لإصلاح ماأفسده المنحرفون والمفسدون والمستمتعون والمستفيدون ، لذلك فهم أول أناس حاربوا النبى ودعوته ، وكذلك الداعية عندما نجد أنهم يسبونه ويهاجمونه ، يبقى له ميراث كثير من النبوة ... إذن فمعاداة الناس شيء منطقى لصاحب الدعوة إلى الله لأنها شهادة له أنه نجح فى أداء مهمته كداعية ، فلا يزعجنى أبدا أى هجوم أو تطاول ، والحمد لله أن أحبائى وأعدائى مستفيدون منى ، فأما أحبابى فمستفيدون منى الهدى ، أما اعدائى فمستفيدون ممن يؤجرونهم لمهاجمتى» .

ولكن أعداء الداعية الكبير ، تجاوزوا حد العداء والإيذاء باللسان ، إلى حد محاولة اغتيال الشيخ !

فأعداؤه فريقان ، الشيوعيون وقت أن كانت قائمة لهم دولة فراحوا يشهرون به فى صحفهم فى الداخل وفى الصحف التى يمتد إليها نفوذهم فى العالم العربى ، وهؤلاء أمرهم معروف ، وعداؤهم طبيعي ومألوف ، أما بعض الجماعات الاسلامية ، وعلى وجه التحديد الإخوان المسلمون ، فيعادون الشيخ لتاريخ كان له معهم ، حين كان عضوا أصيلا في جماعتهم بل إن أول منشور طبع لمرشد الجماعة «حسن البنا» ، سنة ١٩٣٧ ، كان من إنشاء الشيخ الشعراوى وبخطه ، فالشيخ ، يرفض ألاعيب السياسة ، كما يرفض أى

دعوة تنحرف بأصحابها إلى العنف ، ولذلك امتدت يد آثمة لواحد من الشباب الذين غررت بهم الدعوات الإرهابية وأراد بتكليف من الذين ضللوه ، أن يحرق منزل الشيخ الشعراوى فى منطقة الحسين ، بأن يلقى عليه كرة مشتعلة ، وشاءت إرادة الله أن يتنبه الجيران وأن يسارعوا الى القبض عليه وهو ممسك بأداة الجريمة ، وأن يسلموه إلى رجال الأمن ، وقد اكتشف هذا الشاب ماكان عليه من زيف عندما واجهه الشيخ ، فى قسم الشرطة ، وطلب فضيلته من المسئولين اعتبار الأمر كأن لم يكن ، وأعلن تنازله عن حقوقه المدنية والجنائية، إيمانا منه بأن هذا الشاب إنما هو ضحية لعصابة إرهابية ، وقد كانت هذه الواقعة التى عفا فيها الشيخ عند المقدرة ، مُظهرا فيها سماحة الداعية المسلم ، كانت سبيلا فى عدول عديد من الشباب الذين ضللتهم وغررت بهم قيادات الجماعات الإرهابية .

وإذا كان الشيخ وبيته قد نجا من محاولة الإحراق ، فإنه لم ينج من محاولة السرقة، رغم أنه ينفق سرا وعلانية ، فقد سُرق ستون ألف من الجنيهات و«مجوهرات تخص أولاده» من دولاب بغرفة نوم الشيخ الشعراوى ، كان قد أعدها داخل مظاريف لتوزيعها على الفقراء وهى أمانة ائتمنه عليها بعض أهل الخير ليؤديها إلى من يستحقونها ، ودارت خيوط البحث والتحريات حول أحد جيران الشيخ ، وهو سجل خطر هارب من تنفيذ عدة أحكام ، وعندما ألقوا القبض عليه لمواجهته بالتحريات ، فوجئوا برفض الشيخ لاتهامه لأن الاسلام يحث على حسن الجوار ، وحينما تم القبض على اللصوص واعترفوا بالسرقة قال الشيخ الشعراوى :

الحمد لله ، والله الذى لا إله إلا هو ، إننى لاأفرح بهذه الأشياء التى وجدت ، ولكنى أحمد الله ، أن الله برّأ ساحة كل من دخل بيتى ، وكل من حامت حوله الظنون من أحبابى والذين يترددون على منزلى .

وقال : أحمد الله أن بصيرتى لم تسىء إلى جارى المتهم ، وقد صممت على أن أذهب اليه فى محله وأصررت على ركوبه سيارتى معى .

وأضاف : وأحمد الله أن لطف بنا لطفا كبيرا ، فلم أدخل أنا وإبنى وقت وجود السارقين خاصة وأن «الطبنجة» كانت من بين المسروقات ومعمرة» .

«وأحمد الله ... فقد تقاضيت الثمن مضاعفا من لطف الله» ، ودعا الشيخ الشعراوى إلى إنشاء صندوق تخصص حصليته لمكافأة رجال الأمن المتميزين فى مكافحة الجرائم ، وأعلن تبرعه لهذا الصندوق المقترح بمبلغ عشرة آلاف جنيه .

والرجل هو من أول العارفين لحق الله فى ماله زكاة وصدقة ، وأول العارفين لحق الدولة من الضرائب ، فهو أول المولين الذين يقدمون إقراراتهم الضريبية ، وتقدم له مأمورية ضرائب المهن الحرة ، خطاب شكر خاص له .

وللأسف فإن الناس لايحاولون اقتفاء الرجل القدوة فى سلوكه وأفعاله ، أو الاستفادة من علمه ، فهم ينسون رسالته كداعية ، ويرهقونه بطلباتهم المادية ، وهو يريد أن يسألوه فى أمور دينهم ، ولكنهم يسألونه المعونة ، وإذا كان هذا مقبولا من الأميين فما بالك ببعض المثقفين ، فأحدهم يطلب عيادة ، وآخر يطلب صيدلية ، وثالث يريد تكاليف العلاج والإقامة فى أسبانيا .. الخ .

وكم يكثر المدعون والنصابون ، وفى كل الأحوال التى يصدق فيها أصحابها أو يزعمون ، فإنهم يخرجون الشيخ عن مهمته كداعية ، ولذلك فهو يقول :

«أريد من الجماهير أن تسألنى فى أمور دينها وألا تضغط علىَّ بمطالب شخصية ، لأن هذه المطالب ترهقنى ولايكلف الله نفسا إلا وسعها»

وفى كل المراحل والظروف التى مر بها الشيخ الشعراوى منذ أن ظهر لنا كداعية ملء السمع والبصر والفواد ، فإنه ظل على مبدئه وأخلاقه ، لايتخلى عنها حتى فى أحلك المواقف ، فقد رفض مثلا عرضا بإهدائه جنسية إحدى الدول العربية الإسلامية مع تقلد منصب وزارى كبير فى حكومتها ، وأعلن أنه لايتنازل عن بلده مصر ، وأن الأمة الإسلامية كلها هى جنسيته .

ورغم علمه الغزير وتميزه كداعية عن أى داعية ، إلا أنه بتواضع العلماء العظام يقول أنا لم آت بجديد ولكنى قرأت من سادتى ، وسمعت من أساتذتى فاختلط ماقالوا بما سمعت ، فنشأت عندى مادة قد تكون جديدة إلا أن لها نسبا ممن سبقنى ، وقد تحمل عنى شيخ كتاب العربية ابن المقفع حين قال :-

شربت الخطب ريا فلم أضبط لها رويا

فغاصت ثم مضت فلا هى هى ولا هى غيرها .

كذلك أسأل الله سبحانه وتعالى أن يزيدنى توفيقا فى أداء بعض ماحملنى ، حتى أقرع آذان الناس بما يمتع وجدانهم وإيمانهم ، وثرى سلوكهم إلى الخير ».

وهكذا يواصل الشيخ الشعراوى دعوته من خلال خواطره الإيمانية حول القرآن الكريم رافضا أن يقول أنه يفسر القرآن ، فما هو إلا مجتهد يحاول أن يفيض على الناس بما يفيض الله به عليه ، وهو يلقى حب الطفل الصغير الذى لايعى ، كما يلقى حب الكبير الذى يعى ، وهو فضل من الله يسبغه على من يشاء من عباده ، وهذا الحب الذى يتمتع به الشيخ كما لم يتمتع به داعية من قبل ، أحيانا مايعيقه عن أداء بعض واجباته الاجتماعية والدينية ، فهو لايستطيع مثلا أن يقوم بواجبات العزاء أو المشاركة فى جنازات لأعزاء ، بل حتى صلاة الجمعة ، لايقدر الناس ظروف الموقف ، وينسون كل شىءإلا أن الشيخ موجود بينهم ، فيحيطونه للسلام عليه ، أو الفوز حتى بالإمساك بردائه طلبا للبركة ، ويشتد الضغط والزحام حول الرجل حتى يكادوا يعتصرونه ، ويخرج من بينهم ، مجروحا أو أزرار ملابسه مقطوعة ، أو يخرج حافيا !

وبعد أن ارتفع سهمه من ميراث النبوة بعداوة الأعداء وارتفع سهمه من الرضى والقبول بحب المحبين ، لايبقى له من أمنية سوى أن يبقيه الله حتى يتم خواطره ، حول آخر آية من كتاب الله .

وكم سعدتُ بنشر خواطره الإيمانية فى «مجلة الإذاعة والتليفزيون» التى أعمل محررا بها ، لعدة سنوات تحت عنوان «من خواطر الشيخ العشراوى» حتى سئل الشيخ الشعراوى ذات مرة ، ولماذا تخص «مجلة الإذاعة والتليفزيون» بخواطرك ، أسبوعيا ؟ فقال :

«لأنهم يضعونها فى الصورة التى أحبها»

وبعد أن عرضنا لشىء من سيرة الشيخ تخص السلوك والقدوة وهما أهم المدلولات من أى سيرة تنشر على الناس ، يبقى أن نعرض لشىء من فكر الرجل فى هذا الحوار ، لتقترن السيرة بالفكر ، لتكون أكثر دلالة على شخصية رجل عظيم كفضيلة الشيخ الإمام محمد متولى الشعراوى .

ويجد القارىء هنا عرضا أمينا للحوار الذى أجريته مع فضيلته والذى نشرته مسلسلا فى مجلة الاذاعة .. وأثار كثيرا من الجدل والتعليقات ... وما قصدت من ذلك سوى أن ينتفع به المسلم ... فى دينه ودنياه .

الفصل الثانى

الإمام المفكر

دعوتك إلى الله حسنة ...... فاجعل الوسـيلة لهذه الدعوة حسنة أيضا ....
وهذا هو سر نجاح الداعية إلى الله

الشعراوى

تحية وتهنئة ودعاء إلى الله أن يطيل فى عمر الداعية الإسلامى الكبير الشيخ محمد متولى الشعراوى بمناسبة عيد ميلاده ، وإن كان يرى فى مسائل أعياد الميلاد رأيا آخر «فتلك بدع وافدة والأولى ألا نقلد إلا فيما هو نافع من وسائل التقدم والحضارة» ، ونحن نشارك شيخنا رأيه وأفضل احتفال بعيد ميلاده هو أن نأخذ عنه ما ينفع المسلمين فى حاضرهم ومستقبلهم من خلال الحوار مع الداعية الكبير الذى خاطب قلوب الناس بآيات الله وأيضا يخاطب عقولهم باعتبار أن الإسلام دين يعلى من شأن العقل ، داعيا إلى العلم ونبذ الخرافة ، ولهذا سألته عن سر نجاحه كداعية وعن سر نجاح أى داعية آخر دون تعصب أو تطرف ؟

فقال بعد أن سمى الله وحمده وأثنى عليه وصلى وسلم على نبيه :-

لما كانت رسالة رسول الله ﷺ إلينا هى آخر صلة السماء بالأرض فقد كرم الله الأمة المحمدية بأن جعل كل واحد منها يتلقى كل حكم يعرفه ليبلغه لغيره امتدادا لرسالة محمد ﷺ ، حتى وإن كان من يدعوه أفقه منه ، فرب سامع أبلغ من مبلِّغ ، وشهادة من الرسول أنه بلغ ، وأن يقوم بالبلاغ من أبلغه ، والحق يقول ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾. البقرة ١٤٣ .

إن حَدَثَ تقصيُر فى البلاغ إلى الناس ستكون المسئولية على من آمن واتبع الرسول ولم يؤد أمانة البلاغ إلى غيره من الناس

ومنهج الدعوة صعب لأنه يتطلب أن يأخذ الداعى المنحرفين إلى منهج السماء بعيدا عن شهوات الأرض الجاذبة التى تحقق العاجل من شهوات النفس ، بينما الدين فى نظرهم يحقق النفع الآجل ، وهذا خطأ لأن «الدين» يحقق منفعة عاجلة أيضا ، لأنهم لو تمسكوا بمنهج افعل ولا تفعل ، سعدوا ، فلا ضغن ولاحقد ولاجبروت ، فيصبح الناس جميعا فى أمان ، وهل يتطلب «المنهج الدينى الاسلامى» إلا السلام والأمن للناس ؟ فلا تقولوا إن «الدين» ثمرته فى الآخرة بل الدنيا ، والآخرة ثواب أو عقاب نتيجة العمل فى الدنيا ، فمن اتبع المنهج يحيا حياة طيبة ، ومن أعرض فله معيشة ضنكا و يُحشر يوم القيامة أعمى .

فإذا كان «الدين» يأخذ المنحرفين من شهواتهم إلى منهج السماء ، فإن الناصح بهذا الخير يجب أن يكون لبقا لأنه يريد خلعهم مما ألفوا من الشرور ، فلا يجرحهم بأسلوب يكرهونه لذا قال الحكماء «النصح ثقيل فلا ترسله جبلا ولا تجعله جدلا ، والحقائق مريرة فاستعيروا لها خفة البيان» .

وذلك لتؤلف قلب المنصوح ، وحسبك منه أن تخرجه عن المألوف الذى أحبه ، وأن تتبع فى ذلك الحكمة والموعظة الحسنة ، لأن للدعوة خصوما يحاربونها ، ويستغلون أى وسيلة يلجأ اليها الداعى بغير الموعظة الحسنة ، للقضاء عليه والتخلص منه .

والحق يعلمنا أن منهج الدعوة يجب أن يكون بلطف لأنك تريد تحنين قلوب الأشرار والمنحرفين ، وانظر إلى نبى الله ، نوح الذى لبث فى قومه ألف سنه إلا خمسين ، ظل يدعو ويصبر على قومه فى الدعوة الى آخر المطاف حتى قالوا له : أنت تفترى الكلام من عندك ، وكان رده عليهم .

﴿قُلْ إنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىَّ إجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ هود آية ٣٥ وانظر الى الرسول محمد ﷺ وأسلوب دعوته الأرقى الذى يتناسب مع ختام الرسالة ، فسألهم **﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ سبأ آية ٢٤** فجعلتهم هبة السؤال عليهم يضطربون لأن الجواب ليس من مصلحة سلوكهم فى الكفر ..

﴿قُلِ اللَّهُ ، وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ سبأ آية ٢٤.

يريد أن يقول لهم إن منهجكم ومنهجنا لايتحدان ، ولكننى لاأقول أننى على هدي أو فى ضلال ، لأنه واثق أنهم لو أداروا المسألة فى رؤوسهم لاتضح أنهم هم المخطئون ثم يقول **﴿لاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلاَ نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ سورة سبأ آية ٢٥** ، كان على الأقل من منطق المساواة فى الكلام يقول و«لا نسأل عما تجرمون» ، ولكنه قال «عما تعملون ، أدب عال ولطف حتى لايترك الحق لغرائزهم وسيلة للإباء على رسوله والنفور منه ولذلك عندما ركبهم العناد وقالوا للرسول إنه افترى القرآن وكذب على الله ونسبه إليه رد عليهم بأنه إذا كنتم علمتم أنى مفتر ، فافتروا مثله كذبا **﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ**

سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُم مِـــن دون الـلـــه إن كُنْتُم صَادِقِــين فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُم فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّه﴾ سورة هود ١٣ ، ١٤ .

عـــذاب الأحجـــار

● ثم لايجعل الله ، رسوله أو المؤمنين يسبوا آلهة الكفار فيقول الحق ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّه فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الانعام آية ١٠٨ ، أمر من الله، لاتسبوا الأصنام بل تلطفوا بها فليس للأصنام ذنب ، إنما الذنب ذنب من عبدوها فيقول الحق لهم ﴿إِنَّكُمْ ومَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ الانبياء ٩٨ ، ستكون الأصنام وقودا لمن يعبدونها ، والسطحيون يرون أن ذلك عذاب للأحجار ، بل هى غيرة من الأحجار أنها عُبدت من دون الله

«قد تجنوا جهلا كما تجنوا على ابن مريم والحوارى» ، هل يسره أن يكون ابن الله؟ والاحجار كذلك لايسرها أن تُعبد من دون الله ، فتقول على لسان القائل :

عبدونـا ونحن أعبد لله مـن القائمين بالأسحـار

أخذوا صمتنا علينا دليلا فغدونا لهم وقود النار

للمغالى جزاؤه وللمغالى فيه تنجيه رحمة الغفار

لذلك يطلب الحق من المؤمنين ألا يسبوا الأصنام بل يتلطفوا بها ، وهذا منتهى العدل يعلمه الله لنا ، ألا نظلم المُتَخذَ إلها إنما الذين عبدوه هم المجانين ، ولا ذنب للأصنام، وإذا سببتها سبوا إلهك ، فتكون قد سَبَّبْتَ إلها باطلا ، وسبوا هم إلها بحق ، وإنما تكون الدعوة بالإقناع ولطف الكلام والمجادلة الحسنة ، فيقول الحق ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ الـــلَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وإِنْ يَسْلُبْهُمُ الـــذُّبَابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ الحج آية ٧٣ .

اجعل ذبابة تأخذ شيئا من العسل ، وإن كنت جبارا و(فتوة) استرد ماأخذته الذبابة من العسل ، لاأحد يقدر ، لماذا ؟

﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ الحج ٧٣ ، هذا هو الجدل الذى يجعل المجادل يخجل من نفسه ، أما إن شتمته فقد جعلت له حجة عليك لينصرف عنك ، وإنما يجب أن تزين لدعوتك بحق ، فقد تكون البضاعة جميلة ولكن صاحبها «مفركشها» ولا يحسن عرضها ، فلا يقبل عليه الناس ، وكذلك دعوتك إلى الله حسنة ، فاجعل الوسيلة لهذه الدعوة حسنة أيضا ، وهذا هو سر نجاح الداعية الى الله .

هذه هى الحكمة فى التكليف

● كما يأخذ الداعى ، المنحرفين إلى منهج السماء بعيدا عن الأرض .. كما ذكرتم .. فإن الصيام يأخذنا من حلال الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر حتى غروب الشمس .. فما هى الحكمة فى ذلك ؟

ـ أنت تسأل عن الحكمة فى الصيام ، وقبل أن تعرفها أقول ، إنك مادمت قد آمنت باختيارك ، بالله ربا واحدا ، فإن الحق يكلفك بعد أن آمنت به ، ولا يكلف من لم يؤمن به ، والذين آمنوا بالله ليس عليهم بعد ذلك أن يسألوا عن حكمة ماشرع وحكمة ماحرم وحكمة ماكلف وإلا ماكنت مؤمنا ، وإلا اعتبرنا غير المسلمين الذين يحرمون الخمر على مرضاهم لانها تضر الكبد ، أو حرموا أكل «الخنزير» على أنفسهم لأنهم اكتشفوا فيه دودة شريطية مهلكة ، اعتبرناهم مؤمنين ، فليس الإيمان أن تعرف حكمة ما أنت مطالب بالإيمان به ، ثم تؤمن ، هذا ليس بإيمان ، ولكن الإيمان أن تصدق مايخبرك به الحق حتى ولو لم تعرف حكمته ، حتى تظهر الحكمة بعد ذلك فيزداد يقينك بأن إلهك الذى آمنت به ، ماشرع لك ولا كلفك أو حلل أو حرم عليك ، إلا ماتصلح به حياتك .

فإذا أتينا إلى فريضة كالصلاة ، يقولون إن من فوائدها أنها رياضة البدن ، ولكن إذا لم تكن قادرا على الصلاة إلا وأنت جالس أو نائم فأين هى تلك الرياضة التى فى الصلاة ؟ ثم يقولون إن الحكمة فى الوضوء هى النظافة ، ولكن إذا لم تجد الماء وتيممت بالتراب فأين هى النظافة ؟ ويقولون عن حكمة الصوم إنه لكى يشعر الغنى بآلام الفقير فيعطف عليه ، فمن يشعر بالفقير إذن إذا صام ؟

القضية إذن ليست هي الحكمة فى التكليفات التى أمرنا بها ، وإلا كان على المسلمين أن ينتظروا أربعة عشر قرنا ليكشف لهم الطب عن الأمراض التى يحملها لهم لحم «الخنزير» مثلا ، وإنما القضية فى التكليفات الإلهية هى أن الله قال لنا «افعلوها» ، فلنفعلها لأن الله هو الذى أمرنا بها ، وكفى به من آمر لنقول له ياربنا سمعا وطاعة ، ثم لماذا تناقش ربك فيما أمرك به ولا تناقش الطبيب حين يحرم عليك طعاما معينا ويأمرك بطعام معين وأدوية بذاتها ... لماذا لاتناقشه فى الحكمة من ورائها ، وإذا سئلت أنت اكتفيت بقولك : إن الطبيب أمرنى بها ، كذلك الله هو الطبيب الأعظم الذى خلقك ويعلم مايصلح به قوام حياتك .

ولم يكلفك الله مايضرك ، قد تتألم جوعا وعطشا وشهوة جنسية ، بصيام رمضان ، ولكن الحق يريد أن يخرجك من روتينية حياتك ورتابتها ، يريد الحق أن يخرجك من إلف العادة إلى إلف العبادة ، فقد حرم الله عليك أشياء كالخمر والميسر والسرقة ، وغيرها ، وقد تعودت على أن هذه الأشياء حرام فى كل زمان ومكان ، فلا يخطر فى بالك أن تجنبك لهذه المحرمات عبادة أو تشعر نحوها بحرارة التكليف الإلهى ، فيريد الحق أن يلفتك للعبادة وحرارة التكليف بأن يحرم عليك فى شهر رمضان أشياء أحلها لك طوال بقية شهور العام ، لماذا ؟ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُم﴾ المائدة ٤٨ ، والابتلاء ليس مذموما في ذاته ، إنما فى نهايته ، فى نتيجته التى تظهر الصابرين من غيرهم ، والمتعبدين من غير المتعبدين ، ومادام ليبلوكم فيما آتاكم ويمتحنكم ويختبركم فلابد أن تكونوا حكماء ﴿فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾ البقرة آية ١٤٨ ، لتنجحوا فى الابتلاء ليعطيكم أكثر مما تطلبون .

الإنسان والحيوان

● من العجيب ياشيخنا أن الانسان منفلت الشهوات فيعمل الله على ضبطها بمنهج وعبادات كالصوم مثلا بينما الحيوان منضبط الشهوات .. ومع ذلك عندما يريد أحد أن يحقر آخر فيصفه بأنه حيوان .. فماذا تقول لمثل هذه النوعية من البشر ؟

ـ الذى يحقر أخاه ربما يكون من يحقره ، عند الله أفضل منه منزلة لأنه كما يقول ﷺ **«رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره»** والحق يعلمنا **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلاَنِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ﴾ الحجرات آية ١١** ، لذلك لاتعيب إنسانا ولا تحقره لأنه فضلا عن أن يكون خيرا منك ، ومادام لم يؤذك ، فإن تحقيرك له ، ليس من أخلاق الإسلام ولا أخلاق المسلمين ، والرسول يقول «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» فكأنك لاتكون مسلما إذا إستعملت يدك أو لسانك فيما يضر غيرك ، لأن يدك ولسانك إن لم تستعملهما فى الخير أو تغيير منكر ، فعلى الأقل تكفهما عن الأذى وهذا أيضا خير.

أما التحقير بالتشبيه بالحيوان ، فياليت الإنسان له صفات الحيوان ، «ففحل» الحيوان لو رأى الأنثى حاملا فإنه يتركها ، بعكس الإنسان ، بل إن «الحمار» لو أعطيته عود برسيم زيادة لايمكن أن يأكله ، أما الانسان فيُحسِّن لُنفسه الشهوات ، فبعد أن يأكل ويملأ معدته ، يأكل حلويات ، ويشرب المشروبات الساخنة والباردة ، لذلك نجد أن الغرائز عند الإنسان تختل ، أما الإنسان وهو مخيَّر بحكم ماآتاه الله من عقل ، لو لم يحسن به الاختيار بين البدائل فإنه يصير أدنى مرتبة من الحيوان بل أضل لأن الحيوان غريزته هى المسيطرة ، أما الإنسان فميزه الله بالعقل الذى إن لم ينفعه فى اختيار البدائل الصالحة المستقيمة فقد ضل به وأضل ، ولذلك المؤمن هو الذى يترك اختياره لربه ، ولذا علمنا الرسول ﷺ أن ندعو «اللهم لاتكلنا إلى أنفسنا طرفة عين واحدة ولا إلى أحد من الناس» وإذا انتهت أسبابك المشروعة واستنفدتها الجأ إلى الله : يارب أنا استنفدت أسبابى فالجأ اليك يارب الأسباب .

أتحـــدى

● ولكن كثيرين من الناس يقولون إنهم يدعون الله كثيرا ولا يستجاب لهم ؟

ـ يقول فضيلة الشيخ الشعراوى :

الله لايستجيب لمن يدعوه إما لأن إجابة الدعاء قد تكون فى ظاهرها للداعى خيرا ، ولكنها فى الحقيقة شر ، فلا يستجيب الله ، ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ البقرة ٢١٦ ، أو أن يكون الداعى لم يستنفد أسبابه بعد ، وأتحدى أى مسلم تكون أسبابه قد نفدت ودعا الله مضطرا ولم يستجيب الله له ، لأن الحق حكم أنه يجيب المضطر إذا دعاه فيقول ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ النمل آية ٦٢

ولذلك حينما يعم الفساد فى مجتمع يفزع الناس إلى السماء بعد أن تثبت لهم وقائع الحياة أن أهوائهم المتعارضة ستؤدى بهم إلى هلاك فيلتمسون النجاة فى منهج السماء ينقذهم من الظلام .

ولا أضر على المجتمع من أن يتبع كل واحد هواه وكل نفس تخدم شهواتها ، والشهوات متضاربة وإن نجد قضية فى الأرض متفق عليها ، لذا تحمل الله عن الخليفة فى الأرض من البشر ، أن ينظم أمورهم ، التى تختلف فيها الأهواء ، وما لاتختلف فيه تركها لهم ، فيما يتعلق مثلا بأمور العلم التى تعينهم على كشف أسرار الكون وماديات الأرض ليستنبطوا أسرارا من كون الله تسعد خلق الله .

فقد تكفل الله بأن يجمع الأهواء على هوىً واحد بمنهج يخرج الناس من أهوائهم .. افعل ولا تفعل .. ومايتعب الناس أنهم ينقلون افعل الى دائرة لاتفعل ، ولا تفعل الى دائرة افعل ، ولو أنهم التزموا منهج الحق ما أتعبوا أنفسهم ، لأنه رغم التقدم الموجود الآن تجد البشر متعبين لأنهم لم يقبلوا على ماهم فيه من تقدم بمنهج الله ، فتجد دولة عندها فائض فى الطعام تلقيه فى البحر حتى تحتفظ بسعره فى السوق ، بينما دولة أخرى تعانى من المجاعات ، وتجد أن دولة «مزنوقة» فى مساحة محدودة من الأرض ودولة أخرى لديها مساحات شاسعة ، فقد سادت الأنانية ، ولو عملوا بمنهج الله ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آل عمران آية ٩٢ ، وأن الأرض لله بسطها للأنام ، دون قيود تمنع مَن تضيقُ به أرضهُ أنْ يوسِّع على نفسه فى أرض أخرى باتفاق الجميع حتى يتكامل البشر فيما بينهم ولكن سيادة الأهواء وحب الذات أفسد حياة

البشر فلم ينفعهم رخاء أو تقدم ، ومنهج الله لم ينزل إلا لإزالة فساد عمَّ الأرض .

مجتمع متساند

فقد جعل الحق فى كل نفس بشرية تعادلا فى نفسها فتنهاه عن فساد أو شهوة وإذا قضاها لام نفسه ووبخها وعنفها ، فإذا استولت الشهوة على فرد جاء أخوه أو والده أو المجتمع لينهاه ، لكن إذا لم يوجد ضمير فى المجتمع فلابد أن تتدخل السماء برسول جديد ومنهج جديد ، ويحذر الحق حملة ذلك المنهج : من أنكم تواجهون باطلا يحرص عليه بعض الناس وينتفع به الظالمون ، ويشقى به المؤمنون ، وحين توجد الطبقة المنتفعة بالفساد ينظرون لأنفسهم بأنهم سيصبحون مثل بقية الناس وسينتهى عهدهم ، لذلك يعادون كل دين جديد ، ولا يستهوى الدين إلا الضعفاء وأصحاب البصيرة من الأقوياء .

إذن إذا أردت مجتمعا يتساند ولايتعاند اجعل هواه واحدا ولايكون ذلك إلا أن يكون منهج الحق هو المسيطر .

فالهدى هو هدى الله ، والهدى طريق موصل لغاية ، والمنهج موصل لتلك الغاية ، مثلا التليفزيون الذى وضع تصميمه هو الذى وضع له غاية يؤديها ، إذن إذا أردت أن تعرف غايتك خذها ممن خلق ، لأن الذى يتعب الناس إن ربنا خلقهم ، وهم يريدون أن يضعوا قانون الصيانة لأنفسهم أو من غيرهم .

ولكن **﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ الانعام آية ٧١** لأن الله يوحد عقيدتنا فى إله واحد لاتختلف أهوائنا عليه لأنه يضع لنا القانون فلا يذل أحد بل نحن جميعا عبيد لإله واحد ، ولكن أفكار البشر تذل البشر للبشر ، اذا أردت مجتمعًا يتساند ولايتعاند اجعل هواه واحداً ولايكون ذلك إلا أن يكون منهج الحق هو المسيطر .

والحق يقول **﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ المؤمنون آية ٧١** ، لذا تجد فى الريف يقولون «من يقطع الشرع إصبعه لاتسيل منه دماء» إذن التشريع عندما يأتى من أعلى فلا غضاضة فيه ، ومادمنا عبيدا لإله واحد فنحن جميعا سادة .

● **فضيلة الشيخ الشعراوى .. القرآن الكريم ككتاب منهج لصلاح الحياة .. لماذا لم يكن منهج ترتيب سوره فى المصحف حسب ترتيب نزولها ؟**

ـ قال : القرآن نزل لاككتاب منهج فقط بل كتاب منهج ومعجزة ، فكانت رسالة الرسول ﷺ رسالة جامعة لجميع الأمم فى جميع العصور الى أن تقوم الساعة ، وهى مع كونها رسالة جامعة ، فهى أيضا مانعة من أن يأتى بعد الرسول رسول ، لذلك كان من الواجب أن ينفرد ﷺ بمعجزة تبقى بقاء رسالته إلى أنْ تقوم الساعة وبمنهج يغطى كل أقضية الساعة الى أنْ تقوم الساعة ، بعكس ماسبقه من رسل إنما كانوا يرسلون إلى أمم مخصوصة فى أمكنة مخصوصة لزمان مخصوص ، لأن العالم كان فى شبه انعزال لعدم وجود الآلات التى تيسر الاتصال ، حتى جاء رسول الله ﷺ ليكون على موعد مع رشد العقل البشرى فيكون العالم كله وحدة واحدة ، إنْ ظهر داءُ فى الشرق ، ظهر فى الغرب ، إن لم يكن فى يومها ففى نفس الأسبوع ، لذا كان لابد أن يكون العلاج والمعالج، واحد ، لذلك انفرد الرسول بمعجزة تظل موجودة مع الرسالة والمنهج ليستطيع كل متبع لمنهجه أنْ يقول منهج الرسول كذا ، ومعجزته كذا ، ولو جاءت المعجزة كالرسل السابقين لانتهت وأصبحت خبرا وتاريخا ، ونحن نعلم أن معجزة شق البحر لموسى خبرا ، وليس مشهداً ، ونعرف أن عيسى أبرأ الأكمه والأبرص ، نحن لانراها إلاَّ خبرا ، أما القرآن فيظل معجزة تحرس المنهج وتقوم على صدق بلاغ الرسول ، ليستطيع كل واحد أن يقول هذا نبى الإسلام محمد ، وتلك معجزته ، إذن مادام القرآن معجزة فلابد أن يعجز كل العالم ، وعندما يقولون إن إعجاز القرآن إعجاز بيانٍ وبلاغة ، إنما يقال للعرب ، أما الألمان والايطاليون فعدم معرفتهم للغة العربية قد تجعلهم يقولون لو كنا نعرفها لأتينا بخير منها ، لذلك فلابد من معجزة عقلية تعجز الجميع ، لذلك كان لابد أن يخبر الرسول أمته الأمية بأشياء تتحقق بعد مضى القرون ، بما جاء فى القرآن من إشارات علمية ، لم ينكرها العلم الحديث ، فحديث القرآن عن استواء الأرض لايتحقق إلا إذا كانت الأرض كروية ، وحديث القرآن عمن يضيق صدره كمن يَصَّعَّدُ فى السماء ، بما أثبته الإنسان بصعوده الى الفضاء حيث لاهواء هناك ، وحديث القرآن عن مشارق الأرض ومغاربها بما

أثبته العلم من أنْ لكل مكان فى العالم مشرقا ومغربا يختلف من مكان لآخر ، كما أخبر القرآن عن الحق أنه رب المشارق والمغارب ، أما فى مجال منهج لإصلاح الحياة للبشر ، فجاء القرآن ليضع أصول ذلك المنهج ، وتفصله سنة الرسول الذى جاء فى أمة أمية ليغطى منهج الحياة فى كل العالم ، فلا يجد العالم فى قضايا حياته حلاً لها إلا ماذكره الإسلام أو مايقرب مما ذكره الإسلام .

وتلك معجزة أخرى للقرآن ، تأتى معجزة ثالثة متعلقة بترتيب سور القرآن وآياته ، فحين يكتمل القرآن بعد ٢٢ سنه كان جبريل يخبر الرسول أن يضع هذه الآية هنا ، وتلك الآية هناك ، ويزيد هنا ، ويضيف هناك فإذا حدث هذا ، وصلى الرسول وقرأ هذه الآية أو تلك السورة لم يخطىء فيها لأنه اعتمد على الله الذى قال ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسى﴾ الأعلى آية ٦ ، فيقرأ ماأنزل اليوم مع ماأنزل من سنة أو سنتين ، فهذه معجزة ، لماذا ؟

لأنه إذا جعلت أحدا يتكلم عشر دقائق وبعدها اجعله يستعد كل ماقاله كلمة وحرفا فإنه لن يستطيع ، لذلك عندما يفعل الرسول ذلك بالنسبة للقرآن مع إعادة ترتيب سوره وآياته ومازاده الله عليها ، دون أن يخطىء ، فهذه ليست مسألته أو قدرة فيه وإنما هى قدرة من أرسله ، ودليل على أن القرآن كتاب الله لاكتاب بشر ، فكان ترتيب السور والايات ترتيبا موضعيا أى ترتيبا مصحفيا ، مسألة مقصوده ، لأنه ماكان لعقل بشرى أن يرتبه ذلك الترتيب .

أين السمن فى اللبن ؟

● ونسأل شيخنا : من أفضل مطلوبات العبد المسلم غفران ذنوبه والرسول ﷺ يقول ما معناه أن الله ينزل الى السماء الدنيا كل ليلة ليقول : هل من تائب فاغفر له ، فما هو معنى نزول الحق هنا وهل يوجد الآن فى مكان وفى وقت آخر يوجد فى مكان آخر ؟

ــ أجاب فضيلة الشيخ الشعراوى فقال :

فى البداية يجب أن تأخذ كل حديث عن ربك فيما ذكره لك فى قرآنه فى إطار

﴿ليس كمثله شيء﴾ الشورى ١١ لأن صفات الحق فوق إدراك العقل ولذلك يقربها بمحسات ، مثلما قرب صورة الموت والبعث بما نجده فى حياتنا من النوم واليقظة ، كذلك روحك التى بها حياتك تدير الجسد كله فإذا خرجت تحول ذلك الجسد إلى «رمة» وتحلل لعناصره ، فأين روحك من جسمك أهى في البطن أم هى فى اليد ، أو في الرأس ، أو فى الصدر ؟ ، فإذا كان مخلوق لله لاتعرف مكانه من جسدك فكيف تسأل عن مكان الله ؟

لذا عندما يقول ﷺ .. ينزل ربك إلى السماء الدنيا كل ليلة ، ويقول هل من تائب فأغفرَ له ؟ فهل الليلة ، المقصودة بالنسبة له ، أم بالنسبة لك ، أم بالنسبة «لجارك» أم بالنسبة لأى مسلم فى أى مكان من الدنيا ؟ لأن كل ثانية من الوقت لها ليلة ، ففى الوقت الذى ينتهى فيه ليل بلد يبدأ ليل بلد آخر ، وهكذا يتصل الليل فى كل الدنيا موزعا على كل البلاد والأماكن ، أما تعبير ينزل ربك إلى السماء الدنيا ، فهى صورة تقريبية ، وقد سئل الإمام أبو حنيفة : أين ربك ؟ فأجاب على السؤال بسؤال فقال لسائله : وأين «السمن» فى اللبن ؟ إنه فى كل مكان منه ، فإذا كان «السمن» وهو شىء مخلوق يوجد فى كل مكان من «اللبن» ، ألا يكون الحق أيضا فى كل مكان ؟ ، إنه سبحانه يقول : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ البقرة ١٥٥ ، وكذلك عندما يقول ﷺ «إن الله يبسط يده بالتوبة لمسىء الليل إلى النهار ، ولمسىء النهار إلى الليل» فأى ليل وأى نهار ، والليل موجود فى مكان ، والنهار موجود فى مكان آخر فى نفس الوقت ، إذن فيداه سبحانه مبسوطتان دائما ، وهل يداه ، مثل يدى كل منا ؟ إن الرسول ﷺ يقول : إن كلتا يدى الحق يمين ، إذن فصفات الله قربها الحق إلى أذهاننا بصفات لنا نحن البشر ، إلا أنها ليست بالتحديد كصفاتنا ، فهل سمع الله كأسماعنا وبصره كأبصارنا وعلمه كعلمنا ؟ إذن خذ صفات الحق على أنه ليس كمثلها شىء وقد أتعب الفلاسفة أنفسهم فيما وراء الطبيعة ولم يصلوا إلى شىء لأن عقولهم تقصر عن الإلمام بالله وصفاته ، وإلا لو عرفوا كنهه فهم يكونون قد قدروا عليه ، والقادر لايصير مقدورا وإلا انتفت قدرته ، ومعاذ الله أن يكون كذلك ، لذلك ماذكره لنا الحق عن صفاته نؤمن به ، ومالم يذكره لنا لاشأن لنا به لأن بحثنا عنه سيتعب عقولنا بما لاجدوى منه ، فأنت مخلوق فكيف تحيط بالخالق ، وأنت

محدود القدرة فكيف تحيط بطلاقة القدرة ، وقد سئل الإمام على كرم الله وجهه :

كيف يحاسب الله الناس يوم القيامة فى وقت واحد ؟

فقال : كما يرزقهم فى وقت واحد .

حينما يكون المنع عطاء

● إذا كان الرزق مضمونا من الله لكل الناس .. فهل يجوز لنا أن نسأل عن حكمة ماأوجده الله من اختلاف الناس فيما بينهم فى درجاتهم الاجتماعية .. فهذا مدير ، وهذا خفير ، وهذا أستاذ ، وذاك ماسح أحذية .. الخ ... فلماذا لم يتساو الناس فى وسائل أرزاقهم .. ماتعليقك يافضيلة الشيخ ؟

قال : الخلافة فى الارض تتطلب مواهب متعددة وصفات متعددة ولايمكن ان يكون فيه واحد مجمَّع مواهب : صانع وزارع ومدرس وتاجر ، إذن كان لابد أن يوزع الله مقتضيات الخلافة على الخلفاء فى الأرض توزيعا يجعل الالتقاء ضروريا لاتفضليا ، بأن تكون محتاجا لمواهب ليست عندك ، وأن يكون غيرك محتاجا لمواهب عندك ليست موجودة عنده ، وهكذا جعل الله المواهب متعددة حتى يحتاج كل الخلق الى كل الخلق ليرتبط الناس ببعضهم ربطا قصريا .

انظر لواحد يعمل فى «المجارى» لولا ارتباطه بحاجات الحياة للحصول على رزق نفسه وأهله ، مافعل ، وتعالوا للناس لو جعلناهم جميعا بَهَوَات ، ونقول لهم تعالوا انفقوا كل يوم واحد يعمل فى «المجارى» أو يكنس الشوارع أو يمسح الأحذية ، لن يحدث ذلك ، لن تأتى المسألة أبدا تفضلا ، بل المسألة لابد لها من الاستطراق ، ولكنها لاتدوم فالغنى لايظل غنيا والفقير لايظل فقيرا ، لقد جعلها الله دولا بين الناس حتى يستقيم العالم .

ثم إن الغنى ليس دائما نعمة ، والفقر ليس دائما نقمة ، يقول الحق **﴿فأمَّا الإنسانُ إذا ماابتلاهُ ربهُ فأكرمَهُ ونعَّمهُ فيقولُ ربى أكرمَن وأمَّا اذا ماابتلاه فقَدرَ عليهَ رزقَهُ فيقُولُ ربى أَهانن﴾ الفجر ١٥ ـ ١٦ ،** فالإنسان لايرى من الأمور إلا ظواهرها ولا يدرى معنى ابتلائه بالنعمة أو الفقر ، فقد

يكون الفقر نعمة تمنعك من أن تطغى إذا كنت غنيا فتنحرف عن مراد الله فى النعمة ولذلك علينا أن نعلم أن الغِنى ليس دليل إكْرام وأن الفقر ليس دليل إهانة .

لأن الله قد يعطيك ولا تؤدى حق النعمة لذلك يمنعها عنك ولا يكون المنع إهانة لأنه يمنعك من وسيلة انحراف ، إذن فمنعه عطاء ، ينفق عليك بالمنع .

وإن كان الناس دائما ينظرون لعطاء الله كعطاء إيجاب مع أن هذا العطاء قد يكون عطاء سلب ، وينظرون للسلب نظرة ضيقة مع أن هذا السلب قد يكون عطاء ، وعطاء السلب هو أن يصرف الله عنك مصرف سوء .

فأنت رجل أمين ومالك من حلال وتدير حركة حياتك فى إطار «يادوب يكفيك إنَّكْ تعيش» فتجيء فى يوم داخلا بيتك فيقولون لك إن ابنك حرارته مرتفعة و «تعبان» ، ولأن مالك حلال وذرات جسمك متناقسة لاقلق فيها لأنك تسير بمنهج الإيمان فى كل حركة حياتك ، فإنك تستقبل مسألة مرض ابنك بهدوء ، وتقول لأهل بيتك ، اسقوه كوبا من الشاى وقرص أسبرين .

هذا بعكس رجل آخر ماله من «السحت» سرقة أو اختلاس أو رشوة ، فإذا ماقيل له إن ابنه حرارته مرتفعة وتعبان ، يأتى لنفسه ألف خاطر سوء أن ابنه عنده «تيفود» ، أو «حمى شوكية» ، أو ...... أو ...... ويذهب إلى الطبيب ويصرف له ثلاثين أربعين جنيها ، فتجد أن مايأخذه من حرام ذهب آلاما وأمراضا وقلقا فى نفسه وأولاده وأهل بيته ، وإذا كان «يهلب» مثلا مائةجنيه يبعث الله له مايأخذها منه مع الحلال الذى يكسبه .

بينما الرجل المؤمن الذى لايكسب ماله إلا بالحلال ولا يمتلك إلا خمسين جنيها مرتبه فى الشهر ، تجد أنها تكفيه في الوقت الذى يصرف الله عنه مصارف السوء والقلق وهذا أفضل من مائة أو مائتى جنيه دخلها الحرام تحمل معها الهموم والمنغصات .

وهكذا تجد أن العطاء الذى تحبه يذهب فى الفانية ولا تستمتع به ويأخذك فى طريق الانحراف ، بينما المنع يحميك من الإثم والمعصية لتأخذ العطاء فى الآخرة ، وإنك لتجد كثيرين من الناس يدعون الله وهم يحسبون أن دعائهم خير بينما دعاؤهم فى حقيقته شر لهم .

والحق يقول ﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً﴾ الاسراء ١١ ، فأنت لاتعرف أين يكون الخير في دعائك ، وحتى يبين الله لك أنك لاتعرف يعطى لك ما تطلبه بعد الإلحاح ثم يتبين لك أنَّه شر ، أولا يستجيب الله لدعاء تدعوه ثم يتبين لك انه لو استجيب لك لكان شرا لك فتحمد الله انه لم يستجب دعاءك .

ونحن نتكلم عن الفقر والغنى نجد أن الرسول ﷺ حذر من الغِنى ولم يحذر من الفقر فقال للأنصار «فوالله ماالفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم».

ولقد حدث مثال ذلك فى عهد الرسول ﷺ حينما طلب منه «ثعلبة» أن يدعو الله له بالغنى ، والرسول يعرض عنه ، حتى ألح ثعلبة وبالغ فى الإلحاح فاستجاب له الرسول ودعا الله له أن يغنيه ، وما كان إعراض الرسول عنه إلا خوفا من أن ينشغل ثعلبة بغناه وأمواله عن دينه وإسلامه وحقوق الله عليه ، وهذا ماحدث .

فقد انشغل «ثعلبة» بأمواله عن أداء العبادات وبعد أن كان يأتى للصلاة فى مواعيدها أصبح يأتى متأخرا ، ثم يأتى والصلاة قائمة ، ثم يأتى بعد أن تنتهى الصلاة ، ثم لايأتى إلى الصلاة حتى انقطع عن المسجد ، حتى إذا ذهبوا إليه يسألون عنه ويطلبون منه زكاة أمواله فأنكرها عليهم وركبه الغرور وتسلطت عليه الدنيا فجاء غناهُ هلاكا له ..

لذلك علينا ألا نحسد غنيا أو نحقد عليه فغناه ابتلاء له ، وقد يكون شرا له ، وبالتالى علينا ألا نرثى لحال الفقير ، ففقره قد يكون خيرا له .

إذن فالمنع عطاء ، والعطاء ابتلاء ينجح فيه الناجحون ويخسر فيه الخاسرون .

ولنا فيما حدث لقارون عبرة وموعظة ، لقد كان عنده من الكنوز ما إن مفاتيح هذه الخزائن لينوء بحملها العصبة أولو القوة من الرجال ، فهل شكر الله ؟ ، والله يحب الغنى الشاكر أشد من حبه للفقير الشاكر لأن الفقير ليس عنده والغنى عنده ، وشكر النعمة هو إعطاء حق الله فيها زكاة وصدقة .

ولكن قارون غرته الدنيا فنسى فضل الله عليه عندما طلب منه قومه أن يعطيهم مما أعطاه الله قائلين ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ

الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِى الأَرْضِ إِنَّ اللَّه لاَ يُحبُّ المُفْسدين﴾ القصص ٧٧ ، فماذا كان جواب قارون إلا أن كفر بنعمة الله ، وقال ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِى﴾ القصص ٧٨ ، كأن علمه وجهده ، هو الذى أعطاه المال ، ونسى أن الله هو الذى أعطاه القوة والعقل واليد والجوارح كلها التى انفعل بها مع ماخلقه فى أرضه من رزق ساعده على أن يصير غنيا .

ولكن قارون وَكلَ أمر النعمة إلى نفسه فَوَكَلَه الله إلى نفسه فلم تنفعه فذهب معها إلى حيث كأنه لم يكن ، يقول الحق ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾،القصص٨١ فكان هذا درسا لقوم قارون الذين كان بعضهم يتمنون أن يكون لهم مثل مالقارون ، ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِىَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ القصص ٧٩ ، انخدعوا وحسدوا قارون على غناهُ ولم يكونوا يعلمون أن هذا «الغنى» سيهلكه ، فندموا وشكروا الله على أنه لم يستجب لهم ويكون لهم مثل ما لقارون لأنهم لم يكونوا يعرفون أنَّ الخير فيما اختاره الله لهم .

يقول الحق ﴿وَأَصبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَه بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ القصص ٨٢ .

النســـــيان

● وأسأل الشيخ الشعراوى : ولكن فى غمرة الانشغال بالدنيا ينسى الإنسان مثل هذه التوجيهات الإلهية فكيف يتغلب المسلم على هذا النسيان الذى قد يكون فيه هلاكه ؟

ـ يقول فضيلته :النفس البشرية أغيار قد تنسيها بعض التوجيهات ، والرسول نفسه قال له الحق ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى﴾ **الأعلى ٦** ، والحق يقول أيضا ﴿وإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام ٦٨ ، وإن كان هذا الخطاب موجه للرسول لأنه أول مستقبل لما ينزله الحق عليه ، إلا أن تعليم الله لرسوله هو أيضا تعليم لأمته .

فحين تتذكر بعد نسيان «دع الظالمين» ، وما هى الذكرى؟ هى التذكر . والعقل يسمى ذاكرة حافظة للمعلومات ، عندما تستدعيها تأتى بالمعلومات القديمة لتضعها فى بؤرة الشعور ، ولو لم يكن نسيان لما دخلت فكرة فى عقل الإنسان ، لأنه لايمكن إنسان الانشغال إلا بفكرة واحدة ، لذلك فنسيان خاطر ليحل محله خاطر جديد ، شىء طبيعى ، والحق لايريد طمس هذه الملكة ، لهذا فالانسان يتذكر أشياء من عشرين سنة تمر بخاطرك فجأة ، فأين كانت ؟

إنها محفوظة فى اللاشعور ، وتنتقل إلى بؤرة الشعور حين تستدعيها .

ولكن لماذا النسيان منسوب إلى الشيطان فى قول الحق ﴿وإمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ ؟

لأن حقائق الله فى دينه الصدق فإنها لاتغيب عن بال المسلم أبدا إلا بعمل الشيطان الذى يأتى لك بأمر تحبه ، فهو لا يفرض عليك شيئا ولا سلطة له عليك سوى أنه يمسك لك خيطا وأنت تشده ، فيأتى لك فى الصلاة فتتذكر أشياء تشغلك عن الصلاة لأن الشيطان قال فيما رواه عنه الحق ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الأعراف ١٦ ، فالشيطان لايجلس في أماكن اللهو والمعصية ، وإنما يجلس مع الناس الطيبين فى مجالس العبادة والذكر ، لذلك يجب أن تنتبه إلى الشيطان عندما يأتى لك خاطر يشغلك عن حضرة ربك ، أو يجرك إلى معصية ، أن تستعيذ بالله كما يعلمك الحق ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطان نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فصلت ٣٦ ، تقول ، «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم» ، قلها بانفعال دائما ليفهم الشيطان إنك «فَقَسْتَه» .

روشــــته إلهــــية

● إذا كنا نستعين بالله ونستعيذ به لصرف الشيطان ..فكيف نستعين به لقضاء الحاجات ؟

ـ **يقول الشيخ** ـ إذا أصابنا خوف أو همٌ أو مكر أو طلبنا متاع الدنيا وزينتها علينا أن نتجه بكل جوارحنا إلى الله واثقين بما فى أيدينا ولهذا يذكرنا الإمام

جعفر الصادق وكان أفقه الناس بالقرآن وأعلمهم باستنباط آيات الله فيه أن نتجه الى الله كما علمنا فى قرآنه كلما حزبنا أمر فيقول الإمام جعفر «عجبت لمن خاف» ، هو يتعجب لإنسان أدركه الخوف من أى شىء ينغص عليه راحته وطمأنينته ويكون لهذا الخوف مصدر معلوم ولم يفزع الى قوله تعالى ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ آل عمران ١٧٣ يقولها المؤمن بحقها ثقة واعتقادا فى أن الله يكفيه شر الخوف .. يقول جعفر الصادق لأنى سمعت الله عقبها يقول : ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ آل عمران ١٧٤ ، وانظروا الى قول جعفر سمعت الله بعقبها» فكيف سمع الله يقول وهو قد قرأ ؟ إنه ينبهنا إلى أننا حين نقرأ كلام الله علينا أن نستحضر الله أمامنا كأنه يكلمنا ، ولهذا فإن ذلك هو السبب فى أن الله يقول لنا ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ الاعراف ٢٠٤ لأن الله يتكلم ، فكيف يتكلم الله فى أذنك ولا تسمعه وتنشغل عنه بأى شىء أخر هذا عيب على المؤمن أن يقع فيه ، كما هو عيب عليه إن وقع فى شىء أى شىء يخيفه فوق أسبابه ولم يلجأ الى الله ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ فتكون النتيجة أن يكفيك الله شر الخوف وينعم عليك بنعمته على قدر عملك وإخلاصك لله ، وفضل من الله زيادة على النعمة فتظفر بالأمان ، وقد بينت التجربة ذلك للمؤمنين لأنهم ﴿اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ آل عمران ١٧٤ .

ويقول الإمام جعفر «وعجبت لمن اغتم» والغم هو كدر يحدث فى النفس ولكنك لاتدرك أسبابه لأن أسبابه معقدة كمثل من يضيق صدره ولا يدرى لذلك سببا ولكن قد يكون الغم هو حصيلة تفاعلات لأحداث مضت ونسيت أسبابها فتجمعت ليحصل لك بها الغم الذى تحار فى فهمه ، معجبا لك إن لم تفزع إلى قوله تعالى : (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنبياء ٨٧ تقر بذنبك وتعترف بأن الذى أصابك لم يكن إلا بأسبابك وأخطائك وذنوبك ومخالفتك لمنهج الله ، فماذا يحدث بعد إقرارك لله بذنبك ؟ ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ الأنبياء ٨٨ ، وهذه الآية نزلت فى نبى الله يونس عندما ترك قومه دون إذن من الله فعاقبه الله فالتقمه الحوت .

فراح سيدنا يونس يعترف ويقر بأنه بإقدامه على فعل لم يأمره الله به قد ظلم نفسه فاتجه مستغفرا إلى الله ﴿لا الَهَ إلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إنِىِّ كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينِ﴾ الأنبياء ٨٧ ، فكانت النتيجة ﴿فَاستَجَبْنا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَم﴾ الانبياء ٨٨ وليست هذه خاصية كانت ليونس ، فيقول الحق ﴿وَكَذلِكَ نُنْجِى المُؤمُنِينِ﴾ .

ثم يواصل الإمام جعفر الصادق روشتته الإلهية فيقول : وعجبت لمن مُكِرَبه ، أى يبيت لك غيرك شرا بحيث يخفى عليك ، وخصمك هذا على باطل وأنت على حق ، فتصبح المسألة سرا يبيت لخير وهذا هو المكر السيىء لذلك ﴿وَلاَ يَحيقُ المَكرُ السَّيِّئُ إلاَّ بِأَهْلِه﴾ فاطر ٤٣ ، وهناك أيضا من المكر ماهو خير كأن يبيت صاحب خير لصاحب شر ، والله مع صاحب الحق يمكر معه ضد أصحاب المكر السيىء فيقول سبحانه ﴿وَيَمْكُرُوُنَ وَيَمْكُرُ اللّهُ واللّهُ خَيْرُ المَاكِرِينِ﴾ الأنفال ٣٠ ، فإن كانوا يمكرون ويبيتون للخلق فإنهم عاجزون عن المكر والتبييت للخالق الذى يكشف مكرهم وإذا مكر بهم ويبيت لهم لم يستطيعوا كشف ما بيته الله لهم ، لذلك على المؤمن الذى يمكر به أى مكر سيىء أن يتجه الى الله قائلا قوله سبحانه ﴿وَأُفَوِّضُ أمرْى إلىَ اللّهِ إنَّ اللّهَ بَصِيُرٌ بِالْعِبَادِ﴾ غافر آية ٤٤ ، يقول جعفر الصادق : فإنى سمعت الله عقبها يقول ﴿فَوَقَاهُ اللّهَ سَيِّئَاتِ مَامَكَرُوا﴾ غافر ٤٥ .

عجبت لمن طلب الدنيا وزينتها ـ أى من طلب نعمة واسعة وترفا ـ ولم يفزع الى قوله تعالى ﴿مَا شَاءَ اللّهُ لاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللّه﴾ الكهف ٣٩ وهذا هو قول الرجل المؤمن لصاحبه المغرور بجنتيه وأسبابه فظلم نفسه وقال ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِه أَبَداً﴾ الكهف ٣٥ ، فعاقبه الله بزوال نعمته عنه فأصبح يقلب كفيه على ماأنفق فيها، ولو كان قد قال قول صاحبه المؤمن ﴿مَا شَاءَ اللّهُ لاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللّه﴾ لبارك الله له وزاده لأن من يقول هذا تأتيه الدنيا مهرولة ، لأنك إن جردتها من نفسك وأسبابك ﴿فَعَسَى رَبىِّ أَنْ يُؤْتِين خَيْرَاً مِنْ جَنَّتِك﴾ الكهف ٤٠ ، لأننى تركت الأمر لله .

● **هذا الحب من الانسان لتملك الاشياء والسعى لتملكها .. بم تفسره يا أمام ؟**

ـ فيقول فضيلته : الحق جعل فى الدنيا لكل واحد منا ملكا ، وجعل لبعضنا علينا ملوكا فى الآخرة لاملك ولاتملك ، والحق يقول يوم القيامة ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ ويجيب ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ **غافر ١٦** ، فهو الملك الحقيقى يوم لاينفع فيه مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم فلا أحد يملك لأحد شيئا ولا يملك لأحد سببا ﴿لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ **الانعام ٧٣** ، ولو سلسلتها قبلها ستجد أن الملك لله ، ولكن جعل الله الملك والتملك بوسائط بين الناس لأن الله جعل الأرض معايش أما يوم القيامة فيختلف الأمر لأنه ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ **ابراهيم ٤٨** حيث تنتهى الأسباب ولا يبقى إلا السبب الأعلى ، أما فى الدنيا فالأسباب متركبة ، وإذا أصلتها فإنها ترجع إلى الله ، لذلك عندما تنتهى يد المخلوق تبدأ يد الخالق ، لذلك إياك أن تغرك الأسباب ، ردها إلى الله ، لأن كل ظاهرة تراها وراءها حلقات غيبية لذا فملكيتك ليست بذاتك وإلا ماترك أحد ملكه ، فأنت لاتملك حياتك ولا تملك نفسك لأن الحق ينهيها حين يشاء وأينما يشاء ، ولهذا فحب التملك للأشياء وإن كان غريزة فى الإنسان إلا أنه يجب ألا يطغيه إلى درجة اغتصاب أشياء ليست له ملكيتها ، وعليه أن يتذكر أن لاشىء مما يملكه يدوم ، وإلا ماأتى إليه من غيره .

حـــاتم الطـــائى

● **من صفات الانسان أيضا إلى جانب حب التملك .. الإسراف وهو شىء مذموم كما نعلم فى كل شىء فهل الإسراف فى الخير مذموم أيضا؟**

ـ أجاب فضيلة الشيخ الشعراوى :

الإسراف هو مجاوزة الحد ، نقصا أو زيادة ، كإطلاق الماء فى غير نافع ، وسيدنا مجاهد قال «لو أن للإنسان مثل جبل أبى قبيس وأنفقه فى حلال ماعد سرفا» .

والعمل من أجل الخير ، زيادته لا إسراف فيه ، ولكن لاتتجاوز الحد الذى شرعه الله ولا تستعمله فى غيره ، فاعط الفقير ولكن لاتعطه أكثر مما يستحق ، ولما كان حاتم الطائى كريما ، راحوا يلومونه على إسرافه فى الكرم ، فقال أحدهم له : لا خير فى السرف فرد عليه : ولا سرف فى الخير .

وروىء أن ثابت بن قيس «جذَّ» ، أى قطع ثمار حديقة له وأعطاها كلها للفقراء ولم يترك لأولاده شيئا ، فقال له الرسول : اعط ولكن بقدرها حتى لاتندم لعطائك حين تحتاج . لذلك كما يعلمنا الرسول أن نعمل الخير بحيث لانندم عليه ، أنفق ولكن استبق لنفسك ولأهلك مايكفيهم فذلك أيضا من الخير ، ذلكم لأن الإسلام دين وسط ، دين الاعتدال الذى لاإسراف فيه .

كل ذى عاهة

● إذا كان التفاوت فى المراتب الاجتماعية مفهوما كما أوضحتم فضيلتكم .. فهل لى أن أسأل عن دلالات وجود الشذوذ بين الشر ؟

– ويجيب فضيلة الشيخ محمد الشعراوى : هناك مدرسة فلسفية فى ألمانيا تقول : إن الشذوذ فى الناس دليل الألوهية ، لأنه يمكن الإنسان لايلتفت لنعمة الله فى عينيه إلا عندما يرى أعمى يتعثر ، ولا يلتفت لنعمة الله فى قدميه إلا عندما يرى أعرج يلهث ، ولكن لماذا مثل هؤلاء الناس بالذات ؟ إن الله العادل يعطيهم ، وطه حسين مَثَلُ تعرفه ، وقديما قالوا «كل ذى عاهة جبار» وهكذا الشذوذ ضرورة ، ليلفتك الحق إلى نعمه حين تغفو عنها ، والشذوذ دليل سيطرة الحق ، فتجد أن الشذوذ يحدث بين الأفراد ، ولكن الكون لايوجد به شذوذ وإلا فإنه يختل . ويوم يقول الحق للشىء كن فيكون ، يولد الشىء بحق ، ويهدمه أيضا بحق .

ولاتقل إن كان الخلق فى استوائهم وشذوذهم ، وفى صالحهم وطالحهم بما جعل الله فيهم من ملكة الاختيار ، دليل عظمة الخالق ، فلماذا يعاتب الله المسيئين باختيارهم الذى وضعه الله فيهم ، فى الآخرة ؟

ذلك ليجزى الله المحسن بإحسانه ، ويعاقب المسىء بإسائته ، لأن المحسن دائما «تعبان» والمسيىء مرتاح ، المحسن واضع نفسه فى قالب حديد لايظلم هذا ولا يأخذ حقوق غيره، إذن لابد من نقل المسألة فى الآخرة فيستمتع المحسن فى الآخرة جزاء تضييقه على نفسه فى الدنيا ، وكذلك الذين أصيبوا بداءات يبعثون فى الآخرة مبرأون منها ، فلا تجد أعمى يدخل الجنة ولا أعرج ، لأن الله سيعيدهم أسوياء .

إذن فالحق خلق عباده بحق وينهيهم ويحاسبهم بحق .



الفصل الثالث

الشيخ الشعراوى
وموقفه من اليهود

إن اليهود وراء كل فساد يحدث ، وهم بسيطرتهم على ٨٠٪ من وسائل الإعلام فى العالم ينفخون فى بعض الناس ليفسدوا بهم نفوس غير اليهود فى بلادهم ، لذلك يجب ألا تأخذنا الغفلة عن أعدائنا ، فسيرتهم منذ عهد الرسول تدل على أنه لاعهد لهم ولا أمان .

الشعراوى

مصـــر الآمنـــة

● كيف نفسر الاستقرار الذى تتمتع به مصر رغم كل الظروف والمعاناة ؟

ـ يقول إمام عصرنا :

نحن جربنا أناس هددوا فى أنفسهم فقتلوا ، وفى أموالهم فصودرت ، وفى أعراضهم فاعتدى عليها ، ولكن رحمة الله هيأت لمصر «اللطف» والرباط إلى يوم القيامة ، لأنك لو رصدت ماحدث لمصر فلن يبقى إلا أن تسأل : كيف تبقى مصر حتى الآن ؟ ذلك لأنها كنانة الله فى أرضه ، من يعتدى على نسلها وأمنها ومالها ، يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر .

ومانحن فيه الآن لطف من الله بنا ، كل واحد مطمئن على عرضه وعلى نفسه وعلى ماله ولا مصادرة ولا حراسة ولا انتهاك أعراض ، لأننا قاسينا ماكان ، فيعطينا الله حلاوة العطاء ، ولايسعنا إلا أن نشكر الله على نعمه ، ونسأله أن يخلصنا مما بقى من معاناة ، وأن يوفق الله أولى الأمر الذين مكنونا أن نقول الرأى الآخر ، ومكنونا من أن ننقد ونختلف فى الرأى ، فتلك نعمة من الله ، وعلى كل واحد منا أن يعطى طاقته لأمته ، لأن أمته لم تعمل فيه شيئا يضره ويضايقه ، وإلا لو أن الإنسان لم يضمن الأمان والحرية فإنه يتمنى أن يجىء عدو يخلصه مما يعانيه ، ونحن لو أتممنا هذه الأشياء ، سلامة الدين ، والعرض والنفس والمال والعقل ، لنشأ مجتمع آمن لايشكو الحاجة أبدا .

غـــزو الأفكـــار

● ماهى عوامل النصر والفلاح لقوى الإيمان ضد قوى الشر ؟

ـ يجيب فضيلة الشيخ الشعراوى :

ـ يقول الحق سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران آية ٢٠٠ يريد الحق أن يقول يامن آمنتم بى ربا باختياركم دون أن أقتحم عليكم دخلتم اختياركم ولا كلفتكم إلا ما كلفتم به أنفسكم مادمتم دخلتم باختياركم فى الإيمان فتلقوا عنى واستمعوا لما أتيتكم به صلاحا لدنياكم

وآخرتكم ، فإنى آمركم أن تصبروا وتصابروا وترابطوا ، أربعة أوامر ، الغاية منها ﴿لعلكم تفلحون﴾ ، إذن فمن عشق «الفلاح» عليه أن ينفذ هذه الأربعة .

والحق حين يعبر عن «الفلاح» إنما يعبر عن أمر محس مشهود للناس جميعا ، لم يقل لتنجح ، أو لتفوز ، بل جاء بالفلاح ، والفلاح من فلح الأرض بشقها لتتعرض للهواء لتكون سهلة تحت الجذير البسيط تحت البذرة ، وتعهد الأرض حرثا وبذرا وديا ، فما الذى يحدث ؟ يأتيك خير مادى مشهود ، وهكذا يوضح الله الأمر المعنوى بالشىء المحس للناس جميعا ، «والفلاح الذى يقصده الحق هو فلاح الدنيا والاخرة» .

فى الدنيا أن ينصركم على خصومكم وتعيشوا معيشة آمنة مستقرة ورغدة ، وفلاح الآخرة تنالون حظكم من الخلود والنعيم المقيم وإن كان المقصود فى النهاية هو فلاح الآخرة ، وإلا فماذا يكون حال من استشهدوا فى سبيل العقيدة قبل أن ينعموا بثمرات انتصارها ؟ لابد وأن ينالوا فلاحا فى الآخرة خلودا ونعيما دائما ، وإذا أردنا أن نفصل أوامر الحق التى نتيجة تنفيذها الفلاح ، نقول عندما نسمع الله يقول ﴿اصبروا﴾ فلابد أن هناك مشقة ، والإيمان كله المؤدى إلى الجنة المحفوفة بالمكاره لابد أن يكون فيه مشقات ، وهذه المشقات تجدها فى ذات النفس منفصلة عن المجتمع وفى ذات النفس متصلة بالمجتمع ، ففى ذات النفس منفصلة عن المجتمع تجد مشقة فى العبادات والقيام بها لأنها مانعة للنفس عن إشباع لذاتها وشهواتها ، والحق يقول لك لقد خلقتك وأعلم منازعة نفسك للشهوة فاصبر عنها ، وخلقتك وأعلم أن أمور الطاعة تورثك مشقة فاصبر عليها ، وإذا تعدت المسألة من ذات نفسك إلى المحيط الخارجى فى المجتمع الذى تعيش فيه يقول لك اصبر فى البأساء والضراء ، وكيف تصيبك البأساء والضراء ؟ تصيبك من المجتمع ذلك لأن منهج الحق إنما جاء ليصوب الخطأ فى منهج الحياة ، وهذا الخطأ فى منهج الحياة يستفيد منه أناس يحرصون على محاربة كل من ثبت على الحق ولمراد تنفيذ منهج الحق ، لأن ذلك سيذهب بمصالحهم ، فيحاربون الثابت على منهج الحق بالاستهزاء به والسخرية منه وإيذائه والإضرار به ، يقول لك ربك ﴿صابر﴾ هؤلاء الأعداء لأنك جئت تدحض باطلهم بمنهج الحق وهم صابرون على إيذائك لإثنائك عن منهج الحق الذى أنت عليه «فصابرهم» وكن أكثر منهم صبرا لأنك على الحق وهم على الباطل ، وبعد أمر الله

﴿اصبروا وصابروا﴾ يقول ﴿ورابطوا﴾ ومامعنى الرباط ؟ هو أن تشعر عدوك دائما أنك مستعد للقائه كما قال رسول الله ﷺ «خيركم ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها» ، لايتركك الحق حتى يفاجئك عدوك بل يأمرك بالاستعداد قبل أن يأتى الأمر بالاستعداد والإعداد ، فتكون أنت مستعدا مهيئا نفسك ، والمرابطة لايقصد منها الاستعداد الحربى فقط ولكن الاستعداد لكل ما يمكن أن يرد عن الحق صيحة باطل ، فمن المرابطة أن تقوم بإعداد الناشئة الإسلامية قبل أن تفد تيارات الإلحاد بغزو فكرى يتسرب إلى النفوس من حيث لاتشعر ، فلابد أن تكون فى رباط قبل أن تفد روافد الإلحاد لتهز عقيدتك ، وكيف يمكن أن نطمئن إلى الخميرة الإيمانية لأبنائنا وهم يأخذون كل مناهجهم من الغرب ، التاريخ والطبيعة والاجتماع ، ونسينا أن لنا دينا يحمينا من كل هذه الأشياء ، وإنك لتجد فى التاريخ يدرسون لهم الثورة الفرنسية على أنها هى أول من أعلن حقوق الإنسان والحرية والإخاء والمساواة .

نقول لهم لا فقد كذبتم ، فمنذ متى قامت الثورة الفرنسية ؟

أليست فى القرن الثامن عشر ، ومنذ متى نزل القرآن ، أليس منذ أربعة عشر قرنا ، وكان هو «أول من جاء بحقوق الانسان» ، وعندما يقال فى التقنين أن ألمانيا هى التى عرفت الإساءة فى استعمال الحق ، نقول لهم كذابين إن هذا القانون عرفته ألمانيا فى القرن السابع عشر ، وعرفه الإسلام منذ أربعة عشر قرنا ، ولكن كونك جاهل بتشريع الله فذلك لايطمس معالم الحق .

وعندما يقال فى الطبيعة أن الطبيعة هى التى أمدت الحيوان الفلانى باللون الفلانى ليناسب البيئة الفلانية لحماية ذلك الحيوان من عدوه وتضليله ، نقول لهم أأغبياء أنتم ؟ومن الذى أمد الطبيعة ؟ أليس هو الله تبارك وتعالى ؟

إننا يجب أن ننتبه جيدا إلى أن الرباط الذى يدعونا الله إليه ليس بقوة عسكرية فقط لأن خصوم الإسلام يئسوا بعد أن فشلوا فى الحروب الصليبية التى كتلوا لها كل قواهم ولم يبق إلا أن ينفذوا الى المسلمين من خلال مناهجهم عن طريق المستشرقين هناك ، والمستغربين هنا الذين لايعرفون سوى الثقافات الغربية وهم معذرون لأنهم لايعرفون منهج الله ، فيدخل أعداء الاسلام على المسلمين دخولات فكرية فيقولون لهم لقد تقدم

الغرب ويقود الحضارة البشرية وأنتم يامسلمون قد تخلفتم .

ونحن نقول لهم هل كان التخلف مقارنا للإسلام ؟

إنهم ينسون أن الاسلام دولة حضارية أولى استمرت ألف سنة حينما كانت أوربا تعيش فى ظلمات العصور الوسطى ، وهم إما لايعرفون أو يكلمون أناسا لايعرفون ، لذلك يجب أن نأخذ معنى المرابطة بمفهومها الآخر وهو الإعداد والاستعداد لغزو الأفكار وهدم الدين ، قبل أن تفد إلينا

ثم يأتى الأمر الرابع من رب العزة سبحانه فيقول ﴿واتقوا الله﴾ أى اجعلوا بينكم وبين غضب ربكم وقاية كما يقول ﴿واتقوا النار﴾ أى اجعل بينك وبين النار التى هى جند من جنود الله وقاية .

ثم تكون نتيجة الأوامر الاربعة :

﴿اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ آل عمران ٢٠٠ فى الدنيا والآخرة .

إزالــة الطغيــان

● **هل المرابطة تكون فقط انتظاراً لرد العدوان حينما يأتى ؟**

- يقول الحق **﴿وَلَا تَهِنُوا فِى ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ النساء ١٠٤** أى فى طلب العدو ولا تتهاونوا ، والناس المتحررون يقولون إن الله شرع الحرب لرد العدوان وهذا صحيح ولكن الله شرع الحرب أيضا لمقاتلة الطغاة والمشركين لإفساح المجال لحرية الاعتقاد لأن من مصلحة الكفار والطغاة أن المسلمين يكفونهم شرهم ، ولكن الله يعلن أن الجهاد فريضة على المسلم فى كل مكان فيه طغيان ، نعم الحرب رد للعدوان ، وإنما المطلوب أيضا من المسلم أن يعلن كلمة الله ، ومن يقف فى وجه إعلانها نحاربه ، فنحن لانفرض عقيدة ، ولكننا نزيل الطغيان لنفسح للناس حرية الاعتقاد فلا تضعفوا فى ابتغاء القوم ، فجعل الله الكفار والطغاة بغية وهدفا وغاية أجند لها كل تخطيطات فكرى ومتعلقات طاقتى ، لا أردهم فقط بل أبتغيهم لنفرض كلمة الله ، ولنمنع جبروت الطغيان الذى يمنع الإنسان أن يختار عقيدته ، والله سبحانه وتعالى يقول لنا مع ذلك بأن الحرب

ليست محبوبة وهى كره لكم لأن مواجهة الأمر بواقعه أدعى من الكذب وتصوير الأمور سهلة كما يقولون «دهان على وبر» إنما يقول لك الحرب كره ولو جاء الواقع أقل هولا يبقى فضل من الله ، ويقول الله : ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كما تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ النساء ١٠٤.

صراعنا مع اليهود

● صراع المسلمين مع اليهود منذ الرسول ﷺ حتى اليوم كيف تنظر فضيلتكم إليه ؟

ـ يقول الحق ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفسِدِينِ﴾ المائدة ٦٤ .

وهؤلاء الذين يوقدون نيران الحرب والفتنة ويعملون على الإفساد فى الأرض هم «اليهود» الذين حفلت سيرتهم بكل أنواع الكفر والعصيان ومحاربة أنبيائهم إلى حد قتلهم ولذلك عاقبهم الحق فيقول ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ البقرة ٦١ ولقد حاربوا الاسلام منذ ظهوره على يد محمد ﷺ رغم أنهم الذين كانوا يتوعدون به الأوس والخزرج فى المدينة ليقتلوا به العرب ، ولكن ماإن ظهر الرسول حتى عملوا على محاربة الإسلام ، لأن الاسلام جاء ليوحد لا ليفرق ، و«اليهود» كانوا يستمدون سيادتهم من الإبقاء على الفرقة بين «الأوس والخزرج» والإبقاء على نار الحرب مشتعلة بينهما فى المدينة .

فلما ظهر الإسلام سارع «الأوس والخزرج» إلى الإيمان بالدين الجديد الذى آخى بينهم وجعلهم أنصارا للإسلام مما كان إيذانا بزوال سيادة «اليهود» من المدينة لأنه لاحياة لهم إلا بالإختلافات والفرقة والفتنة بين جيرانهم ، والاشتغال بالربا والاستغلال وتجارة الأسلحة وإثارة الفتن والحروب بين القبائل العربية هنا وهناك ، مما لامكان لهذه المبادىء الهدامة فى ظل الإسلام .

فعملوا على محاربته خفية فى البداية ولكن مالبثت نواياهم وأحقادهم أن تفجرت بعد انتصار المسلمين فى غزوة «بدر» على كفار قريش ، فراحوا يسخرون من الرسول ، فقال له يهود بنو قينقاع «لايغرنك يامحمد أنك لقيت قوما لاعلم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس» ، فلم يجد الرسول بدا من إجلائهم عن المدينة ، وأذلهم فخرجوا تاركين أموالهم وأسلحتهم ، وكانت هذه أول مواجهة بين المسلمين واليهود ، حتى إذا هزم المسلمون فى غزوة «أحد» ظهرت شماتة اليهود .

فقال يهود بنى النضير «ما أصيب بمثل هذا نبى قط» وراحوا يدبرون مؤامرة لاغتيال الرسول كشفها وحى الله لرسوله ، فكان لابد من التصدى لغدرهم ، وإخراجهم إلى غير رجعة بعد أن ظنوا أن حصونهم تمنعهم من المسلمين .

وعن ذلك يقول الحق ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ الحشر آية ٢ .

ولم يبق إلا يهود «بنو قريظة» الذين تحالفوا مع الكفار فى غزوة الأحزاب وأصبح المسلمون مهددين من الخارج بمعسكر الكفر ومن الداخل باليهود ، لولا أن هبت ريح صرصرا عاتية اقتلعت خيام الكفار ، فقرروا فك الحصار عن المدينة .

وفى ذلك يقول الحق ﴿وَرَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ الاحزاب آية ٢٥ .

لولا هذا لتعرض المسلمين لكارثة نتيجة غدر اليهود وخيانتهم ، ولهذا كان الخلاص منهم ضرورة لتأمين الدعوة الإسلامية ، ولم يترك الرسول «اليهود» خارج المدينة لأنهم اجتمعوا بعد طردهم يتآمرون فى «خيبر» فداهمهم الرسول وكسر شوكتهم ، وهكذا فى كل مرة حاول فيها «اليهود» إشعال الفتنة ونار الحرب كان الله يطفئها .

ولم تكن فتنة اليهود فى دار الاسلام وحدها بل إن فتنتهم ممتدة عبر التاريخ ، وما حدث لهم على أيدى امبراطوريتى «فارس والروم» يدل على ذلك ، ولهذا تجدهم فى كل دولة مقطعين فى الأرض ، ولا توجد دولة لم تنكل بهم ، وآخر ما حدث لهم أيام «هتلر» فى الحرب العالمية .

وقد يسأل واحد : إذا كان الله قد أطفأ فتنة اليهود وحروبهم فلماذا لايطفئها اليوم؟ ونسأل لمن يطفئها الله ؟

إن الله يطفىء فتنة اليهود وحروبهم ، لجنود الله ، والمسلمون اليوم بعيدون عن الله ، فكيف ينصر الله من ابتعدوا عنه .

ولكن عندما كنا قريبين من الله نصرنا ، كما حدث فى حرب رمضان ، وكان شعار «الله أكبر» يسبق جنودنا فى عبورهم وتحطيمهم لحصون عدوهم ، وجزى الله خيرا الضباط والجنود الذين رفعوا الشعار وكتبوه وصاحوا به معيدين أمجاد الإسلام الأولى ، ولكن الذين ينكرون فضل الله فى نصر رمضان تركوا الدلالة الإيمانية لهذه الحرب وشعارها «الله اكبر» ، وقالوا إنه انتصار حضارى فحدثت «الثغرة» ، فاذا كان انتصارا حضاريا أكملوه أنتم ، ولو ظل شعار «الله اكبر» لاستمر النصر فأى انتصار حضارى هذا وفارق القوة بيننا وبين اليهود كان كبيرا ، وإذا كان مجرد شعار «الله اكبر» أعطانا قوة فوق قوة أعدائنا ، فماذا يمكن أن يحدث لو ظل الشعار حقيقة نستمد منها قوتنا ونلتزم به كتطبيق .

والحقيقة الواقعية تؤكد السنة الكونية ، فكان عدم التزام المسلمين بأوامر رسولهم فى غزوة «أحد» سببا لهزيمتهم بعد النصر ، وفى غزوة «حنين» اغتر المسلمون بكثرتهم وقال قائلهم «لن نغلب من كثرة» فهزموا لأن الحق أراد أن ينبههم الى أنه لا الكثرة العددية ولا العتاد ولا السلاح ، ولا كل هذا هو سبب النصر الحقيقى وإنما هى أسباب فقط لاتغنى عن الإيمان بأن النصر من عند الله المسبب الأعلى .

فيقول الحق ناعيا على المسلمين غرورهم بكثرتهم فى غزوة حنين **﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ التوبة ٢٥** ، ولعل شبيها بهذا حدث لنا فى ٦٧ ، والدليل على أن الكثرة لاتغنى عن الإيمان شيئا أن المسلمين فى غزوة

بدر كانوا قلة فى العدد والعدة ومع ذلك انتصروا يقول الحق **﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُم اللَّهُ بِبَدرٍ وأَنتم أَذِلَّةٌ فاتقوا اللَّه لعلَّكم تَشكُرُونَ﴾ آل عمران ١٢٣** يقول الحق **﴿فَلَمْ تَقتُلُوهُم وَلكنَّ اللَّهَ قَتَلَهُم وَمَا رَمَيْتَ إِذْرَمَيْتَ وَلكنَّ اللَّه رَمى﴾ الانفال ١٧** ، إذن فالمسألة ليست كثرة عددية ولا تسليحا جيدا وإنما الله ينصر من ينصره بالإيمان ، فإذا ماتخلينا عن الإيمان وأخذتنا الغفلة يتركنا الله لينال العدو منا ، وإلا لو كنا غافلين وبعيدين عن منهج الله ثم انتصرنا ، فإنه لايكون هناك داع إذن إلى الإيمان والمنهج الإيمانى ، وإذا وجدت طرفين يتقاتلان ولم ينتصر أحدهما على الآخر فاعلم أنهما على باطل .

لأن النصر لايكون إلا مع الحق والإيمان ، ولكن لماذا يحدث أن ينتصر معسكر الكفر على معسكر الإيمان ؟

إن معسكر الكفار لايذل المؤمنين عن ذلة وإنما ذلك يأتى في غياب المؤمنين عن ربهم نتيجة غفلتهم عن إيمانهم ، فترجح كفة معسكر الكفر على حساب غفلة المؤمن ، حتى إذا استيقظ المؤمن من غفلته هوى بمعسكر الكفر ، لذلك فهزيمة معسكر الإيمان درس للمؤمنين أن يفيقوا من غفلتهم ، وفى نفس الوقت فإن طغيان معسكر الكفر مصلحة لمعسكر الإيمان إذا ماعاد إلى إيمانه ليثبت الحق أن الإيمان هو الذى هزم معسكر الكفر.

وكم من طغاة كافرين علوا علوا كبيرا ثم هووا وسقطوا ، لأنه لاأحد يهوى أو يسقط من «فوق حصيرة» وليس علو الكافرين والظالمين وبغيهم كالفراعين وسيادتهم وسلطتهم تكريما لهم بل إنه تهيئة لهم حتى إذا ماسقطوا جاء سقوطهم مروعا ، والحق يقول **﴿حتَّى إذا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أخَذْنَاهُم بَغْتَة﴾ الانعام ٤٤** .

وإنك لتجد في بروتوكولات حكماء صهيون ، رقم «٨» يقولون «إن مافعله ماركس ونيتشه وداروين ، أمور رتبناها من قبل وسيظهر أثرها فى الشعب غير اليهودى ، أما اليهودى فإننا طعمناه ضد هذه المبادىء التى نعتقد فسادها» .

لذا فإن كل انحراف يحدث فى العالم تجد «اليهود» وراءه ، فخروج أناس من الإسلام إلى «البهائية» ، ووجود جمعيات مثل «الماسونية» ، وراءها «اليهود» ، لهدم الإسلام

وإشاعة الفساد فى الأرض ، وسعى اليهود للفساد فى أصل قضايا الدين ، ويقولون إن الإنسان أصله قرد ، والإنسان خلق حرا ليظل حرا كما فى الفلسفة «الوجودية» التى تقول بأن كل إنسان يجب أن يثبت وجوده ويفعل مايريد ، وهم يعرفون أنه مادمت أفعل ماأريد فمن الطبيعى أن يفعل غيرى مايريد ويبقى وصلنا للإباحية ، فهذا إفساد فى الأرض .

ومن الإفساد أيضا أنهم عملوا مسابقات ملكات جمال العالم ، وملكة جمال السيقان ، وملكات جمال الكروم والقمح والأزياء ، الخ ، ولكن لماذا لايكون هناك «ملك جمال» ؟ ذلك أنهم يريدون إبراز مفاتن المرأة ، فيصممون قوانين للرياضة ، وملابس لها بحيث إن الشباب يلبس بنطلونات شورت ، والفتيات يلبسن ملابس «الفراشة» حتى إذا درن أو جرين يمينا أو شمالا يظهر كل شىء فيهن من مفاتن الجسد وذلك لدغدغة أعصاب الناس والشباب وجوائز تمنح وحفلات تكريم ، وهكذا يلبسون الفساد ثوب الحضارة ليسير الناس وراءهم .

وأخطر مايواجه اليهود هم المسلمون لذلك يعملون على إنهائهم بكل وسيلة ، فجربوا كل الوسائل للقضاء على الإسلام فى نفوس المسلمين ، فجاءوا يخاصمون الإسلام بالمستشرقين الذين يأخذون زاوية من زوايا الإسلام يمدحون فيها ويدسون نظرية أو نظريتين وسط كتاباتهم للطعن فى الإسلام ، وهم حينما راحوا يمجدون فى رسول الإسلام محمد قالوا عنه إنه «عبقرى» يريدون بذلك أن ينفوا عنه صفته كرسول ، فيصفونه بالعبقرية مما يعطيه فكر البشر مجرداً عن وحى السماء .

ويأتى مؤلف أجنبى يقول إن «العظماء مائة وأعظمهم محمد» نقول له «كتر خيرك» ولكن لماذا لم تؤمن بأعظم العظماء الذى تحدثت عنه ؟ فنحن لايهمنا شهادتك لأن محمدا ص عظيم من غير هذه الشهادة .

تخريب الإسلام بيد أبنائه

ولما وجدوا أن حكاية المستشرقين انكشفت جاءوا لطعن الإسلام من جهة أتباع الإسلام أنفسهم ، فتجد طلبة مسلمين يحصلون على الدكتوراة فى الخارج حتى مايتصل منها بفروع التاريخ الإسلامى ، فيعودون مشبعين بالفكر الغربى والمؤثرات الغربية بصرف النظر عن صلاحيتها للفكر الإسلامى أو عدم صلاحيتها ، ويقولون عن أنفسهم أنهم

مصلحون ، وتجد صدى أفكارهم فى مناهج النشء الإسلامى ، ومناهج الطلبة المسلمين كما ذكرت لك من قبل ، فكيف بعد ذلك إذن نطمئن إلى تعليم النشء الإسلامى ، بينما تخريب عقولها يأتى بيد أبنائه الذين يضعون السموم في مناهج الدراسة ، وهم لايدرون أنها سموم أخذوها من الأجانب والغرب على أنها علم وأنها حقائق وقد حذرنا القرآن من هؤلاء المصلحين الذين هم فى الحقيقة مفسدون ، فيقول الحق ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أعمالاً الذينَ ضلَّ سَعْيُهُم فى الحياة الدُّنيا وَهُم يَحْسَبُونَ أَنَّهُم يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الكهف ١٠٤ .

فلقد يئس أعداء الإسلام من الإسلام فى ميدان الحروب التى وصلت قمتها فى الحروب الصليبية ، ويئسوا من الرسول عندما دسوا له المستشرقين ، فلم يبق إلا أن يخربوا الإسلام بيد أبنائه ، ولذلك فليحذر المسلمون مايدبر لهم ، وليعلموا أن اليهود وراء كل فساد يحدث وهم بسيطرتهم على ٨٠٪ من وسائل الإعلام فى العالم ينفخون فى بعض الناس ليفسدوا بهم نفوس غير اليهود فى بلادهم ، لذلك يجب ألا تأخذنا الغفلة عن أعدائنا ، فسيرتهم منذ عهد رسول الله ﷺ تدل على أنه لاعهد لهم ولا أمان ، ولا تحسبن أنهم يصادقون المسلمين وداً لهم وإنما لكى يقفوا عن قرب على مواطن ضعفهم ثم يطعنونهم ، ومهما بدا اليهود مبتسمين فإن «الأسد» إذا فتح فمه فليس ذلك ابتساما منه وإنما هو مكشر عن أنيابه للإيقاع بفريسته ، فليحذر المسلمون فساد اليهود وما يشعلونه من فتن وحروب ، والحق قد حكم فى قرآنه أنه مطفىء كل نار يشعلونها للحرب ، يطفئها لمن آمنوا به واتبعوا منهجه ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُه﴾ الحج ٤٠ .

انتفاضة الأرض المحتلة

● ماهى خواطركم التى أثارتها انتفاضة أطفال الحجارة بفلسطين المحتلة؟

ــ **الشعراوى** : ما يحدث فى فلسطين المحتلة الآن هو الصح ، ولقد نادى به من زمان الملك عبد العزيز آل «سعود» رحمه الله عليه ، وقال إن الارض لايحررها إلا أبناؤها من داخل الأرض المحتلة ، وما يحدث الآن هو عين الصواب ، وندعو الله أن ينصر إخواننا فى فلسطين حتى تتحرر الأرض من غاصبيها .

● ماهى رؤيتكم لنهاية صراعنا مع اليهود ؟

ـ يقول الحق فى كتابه فى سورة الإسراء : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ الاسراء ٤ ، ٥ .

وقد تحققت هذه النهاية الأولى فى عهد الرسول حين أجلاهم عن المدينة وطردهم منها ، واكتملت هذه النهاية فى عهد عمر بن الخطاب عندما دخل بيت المقدس ، وصلى فى مسجده الأقصى .

أما النهاية الثانية لليهود فسوف تتحقق عندما تتوفر لها شروطها ، والتى بدأت توجد بالفعل ، فقد وعد الله «اليهود» ، بأن الأمر سيعود لهم ويتسيدون المنطقة ، وتصبح لهم قوة مادية وقوة بشرية ، أما القوة المادية فمتوفرة لهم سواء بالمال الذى تغدقه عليهم أمريكا ، أو بالعلم الذى ساعدتهم عليه وصاروا به قوة لها وزنها وشأنها فى المنطقة ، أما القوة البشرية ، فهى مايتحقق بهجرة اليهود من شتى بقاع العالم إلى أرض فلسطين المحتلة بهم ، والتى يسمونها «أرض الميعاد» ، وكأن هذه الهجرة مقصودة لكى يتجمع اليهود فى أرض واحدة وفى مكان واحد ، وهم الذين ظلوا على مدى العصور مشتتين فى كل بقاع العالم ، لاينوبون فى أى مكان يقيمون فيه ، بل يتجمعون محتفظين بأنفسهم وبعاداتهم وتقاليدهم ، ولا يسمحون لها بأن تختلط بعادات وتقاليد الشعوب التى يعيشون فيها ، حتى أنه كان لليهود حارات خاصة بهم تعرف بأسمهم «حارة اليهود» ، لتصبح بعد ذلك دولتهم اسرائيل ، أو فلسطين التى استولوا عليها من أهلها ، هى حارتهم الكبرى ، ولم يكن ذلك مجرد صدفة ، بل هو الترتيب الإلهى محققا لوعد الله ووعد رسوله ، فى النهاية الأخيرة لليهود .

يقول الحق سبحانه مخاطبا بنى إسرائيل فى سورة الإسراء ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ، إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ

وإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ الاسراء ٦ ، ٧ .

فحين يسيء بنى إسرائيل ويفسدون يجيء وعد النهاية الآخرة ، على أيدى المسلمين حيث أنه لن تقوم القيامة ، حتى يقاتل المسلمون ، اليهود ، كما يخبرنا الرسول ﷺ ، فيختبيء اليهودى وراء الحجر ، فيتكلم الحجر : يامسلم هذا يهودى ورائى فاقتله .

وكيف يحدث هذا إلا إذا تجمع اليهود فى مكان واحد يكونون فيه فى متناول أيدى المسلمين ، وإلا فإنه من غير الممكن أن تحدث تلك الموقعة التى أخبر بها الرسولﷺ ، إذا كان «اليهود» موزعين فى الأرض مفرقين فيها ، لهذا تأتى هجرتهم من بقاع الأرض كخطوة من خطوات النهاية لدولتهم خاصة وأنهم قد ازدادوا قوة مادية وبشرية ، وفسادهم قد انتشر ، فطغوا وبغوا وتجبروا ، ولم تبق إلا المرحلة الاخيرة التى تحدث فيها الموقعة الكبرى التى يقاتل فيها المسلمون ، اليهود ، ولن يحدث ذلك إلا حين يعود المسلمون إلى منهج الله فيكونون عباد الله كما كانوا خلال مرحلة صراعهم الأولى مع اليهود أيام الرسول ﷺ ، (عبادا لنا) ، وهل نحن اليوم عباد الله ؟ حينما نكون عبادا لله ، فسوف يتحقق انتصار المسلمين على اليهود لأن عباد الله هم جنود الله ، وجنود الله كما قال الحق ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ الصافات ١٧٣ .

● لماذا انتصر الإسلام الضعفاء ؟

ـ الحق خلق الإنسان واستعمره فى الأرض وجعله طارئا على الكون ، وجعل فيه كل مايلزمه من مقومات حياته وإسعاده ، وقد أراد الحق من البشر أن يكون فيهم استطراق عبودية بحيث لايوجد عال على مستضعف ولا يوجد طاغ على مظلوم حتى تستقيم حركة الحياة استقامة يعطى فيها كل فرد على قدر ماأعطى من مواهب ، فاذا مااختل نظام الاستطراق البشرى ، رده الحق إلى التوازن ، مذكرا البشر أنهم متساوون

فى الخلق من تراب ، ومتساوون يوم القيامة للحساب ، فلماذا تختلفون وعلى أى شىء تختلفون ؟ لذلك عندما لم تكن هناك مناعة إيمانية فردية فى الذات ، ولا يوجد مجتمع يردع من افتقدوا مناعتهم الإيمانية ، كان الله يبعث برسول ، وهذا معناه أن الفساد قد عم وانتشر نتيجة وجود مفسدين تمتعوا من الفساد ، لذلك يحزنهم من يأتى ليقضى على الفساد فيهاجمونه لأنهم منتفعون من الفساد ، والقضاء عليه يضيع عليهم منافعهم ، لذلك تأتى أول عداوة للرسول من أقوياء الأرض الجبابرة .

ولقد جاء الرسول إلى العرب وفيهم قوم مستبدون ، وقوم مستغلون وقوم مستضعفون فكان لابد أن يعود نظام الاستطراق للحياة ، فوجد الإسلام فى بيئة أمية لايوجد فيها حق لفرد يتفق عليه الجميع ، فشاء الحق أن يوجد رسول فى هذه البيئة ليعيدها الى الرشد .

وكان من الممكن أن يهيىء الحق ، الأتباع لنشر الرسالة الإسلامية فى الوجود ، ولكن نشأ صراع بين المستبدين والضعفاء ، فقد رأى «المستضعف» دينا يأخذ بيده للتساوى مع الناس ، فلابد أن يهرع للدين الجديد .

وقد نشأ صراع بين الجبابرة والدين الجديد الذى ينزلهم من عليائهم للمساواة بضعفائهم ، لذا وقف صناديد قريش ضد محمد ﷺ لأنه يقول لهم إنكم مثل سواد الناس ولافرق بينهم وبين العبيد إلا بالتقوى والعمل الصالح ، لذلك لم يرض أن يقول جبابرة وصناديد قريش «لا إله إلا الله» أساس العقيدة التى يدعوهم إليها محمد ، لأنهم يعلمون أنها ليست مجرد كلمة تقال وينتهى الأمر وإلا لقالوها واستراحوا ، ولكنهم يعلمون أن كلمة «لا إله إلا الله» تغير مجرى الحياة لأنهم يعلمون مطلوباتها وأن ماهم فيه من سيادة وفساد سيضيع منهم لأنهم رضوا بالفساد واستطاعوا به أن يسودوا وأن يستعبدوا الناس ، فإذا جاءالرسول يدعوهم إلى لا إله إلا الله فلابد أن ينتهوا لأن مطلوباتها تعنى أن لاسيادة إلا للتقوى والعمل الصالح وبذلك يتساوى الأمراء مع العبيد إلا من اتقى وعمل صالحا فتعلو مرتبته عند الله ، أما البشر كل البشر فكلهم سواء ، لهذا حورب محمد ، وهكذا أنبأ الله . ﴿وكذلكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾ الانعام ١١٢، وإلا لماذا يأتى إن لم يكن للنبى أعداء لذا أراد الحق أن يجعل كلمة التوحيد فى أذن سادة

قريش جميعا ليهدم السيادة ، ولم يجعل الله نصر الإسلام فى مكان السيادة ومقامها ، لأنه سيقال بذلك إن قوما ألفوا السيادة وهم قريش فآمنوا بالرسول ليسودوا العالم بدل أن يسودوا العرب فقط .

ولكن الحق جعل انتصار محمد فى مكان غيرهم من الضعفاء الذين قواهم الله على الأقوياء الجبايرة والمنحرفين والمسيطرين على الضعفاء .

وكان الرسول حريصا على الدعوة وتبليغها، فكان يلزم نفسه بما لايلزمه به الله ، غيرة على الدين وإخلاصا له ، والحق يقول ﴿لَعَلَّكَ باخِعٌ نَّفْسَكَ الاَّ يكونُوا مُؤمِنين﴾ الشعراء ٣ ، ويقول ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاَغ﴾ الرعد ٤٠ .

ويوضح الحق لرسوله ، أن هؤلاء المعاندين ، باستطاعته سبحانه أن يجبرهم على الإيمان ولكن الحق يريد قلوبا لا قوالب .

ولكن الرسول كان يكلف نفسه فوق طاقتها ، فيعاتبه الحق ، والبعض يظن أنه عتاب تقصير ، ولكنه فى الحقيقة عتاب لمصلحة المعاتب وهو الرسول ﷺ .

وفرق بين عتاب يظنه البعض تقصيرا وعتاب لمصلحة المعاتب ، فأنت لو نظرت لابنك مثلا ورأيته يلعب ولا يذاكر ولا يذهب للمدرسة ، فإنك تعاتبه وتؤنبه لأنه خالف مصلحته ، فهذا عتاب تقصير ، أما اذا رأيت ابنك يعطى كل وقته للمذاكرة ويسهر ويتعب نفسه ، فإنك تخطف منه الكتاب لينام وليستريح بعض الوقت .

فيكون هذا عتابا محسوبا له لا عليه لأنه كلف نفسه فوق ماهو مطلوب منها ، وهكذا كان الرسول يكلف نفسه أكثر مما تستطيع ، فهو وجد طريقا سهلا يسير الناس فيه للإيمان بالدعوة الإسلامية ، فاطمأن الرسول لهذا الطريق ، واتجه للجبابرة المستبدين يريد هدايتهم ، وليس هذا مطلوبا منه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكى﴾ سورة عبس آية ٣ ولكنه إخلاصا للدعوة راح يعامل هؤلاء الجبابرة بشىء من اللين ليتسميل قلوبهم علهم يهتدون ، وذات مرة وهو مع بعض المؤمنين «صهيب الرومى ، وعمار بن ياسر ، وبلال بن رباح ، وخباب بن الأرت ، جاء «الأقرع بن حابس» وعيينه بن حصن الفذارى» ، فاستنكفا أن يجلسا مع هؤلاء المستضعفين فقالا للرسول ﷺ ، هل رضيت بهؤلاء عن

قومك ، فلن نجلس إلا بعد أن تبعد هؤلاء فقال الرسول ﷺ **﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء آية ١١٤** ، فأرادا أن يقفا موقفا وسطا ، فقال الرسول : إذا جئنا أقمهم من عندك ، وإن قمنا أجلسهم ، فوجد الرسول ﷺ فى الحل مايقرب وجهات النظر ، ووافق عليه و لعلّ هؤلاء الجبابرة يهتدون فيهتدى قومهم بهداهم ويكسب الدين أنصارا أقوياء ، فلما ذهبا ليحضرا كتابا يكتبانه بموافقة الرسول على هذا الاتفاق «إذا جاءوا يقوم المؤمنون ، وإذا ذهبوا جلس المؤمنون» نزل قول الله لرسوله **﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الانعام آية ٥٢** فرفض الرسول أن يوثق اتفاقه مع المتجبرين ، وأراد الحق أن يكرم المستضعفين ، بما أهيجوا فيه ، فطلب من الرسول ألا يقوم حتى يقوموا هم .

يقول سلمان الفارسى «لقد كنا نجلس مع الرسول حتى تمس ركبنا ركبته ، ولا يقوم أبدا حتى نقوم نحن ، ولكننا كنا على يقين من الإيمان فنعجل به» .

هزم المسلمون ومعهم الرسول .. لماذا ؟

● لماذا هزم المسلمون فى غزوة أحد رغم أن الرسول ﷺ كان قائدهم ؟

ـ الحق جَلَّ وعَلاَ لايغير نواميس الكون من أجل أحد من الناس ، حتى لو كان هؤلاء الناس هم المؤمنون الذين ناصروا الدعوة الإسلامية وجعلوها تقوم قوية فى وجه قوى الكفر ، فقد جعل الله ناموس الكون يطبق على الرسول والمؤمنين ، حينما خالف الرماة فى غزوة أحد ، أوامر الرسول وتركوا أماكنهم طمعا فى الغنائم ، مما أتاح الفرصة للكفار أن يلتفوا حول المسلمين المنشغلين بالغنائم ويهزموهم .

وكان من الممكن ألا ينهزم المسلمون ، بإرادة الله ، رغم أن الظروف تؤدى إلى هزيمتهم ولكن الله لم يرد أن يغير سننه الكونية من أجل حبيبه ﷺ ، لأن المسلمين لو نصرهم الله «عشان خاطر النبى» فكيف يكون الحال فى أوامر النبى ؟ إنهم سيقولون خالفناه وانتصرنا ، وإن خالفنا أوامره فلا عقاب علينا ، لذلك أراد الحق سبحانه أن يعطى المسلمين درسا فى وجوب أن يعملوا ولا يتواكلوا ، وإلا فلو تواكلوا فإن الله لايغير نواميس الكون من أجلهم .

الفصل الرابع

الشعراوى وكهنوت الفكر

من صفات الداعية إلى دين الله أن يكون سهل المعشر سمحا كريما يخاطب الناس على قدر عقولهم .

الشعراوى

قد لايعرف الكثيرون من ملايين عشاق الشيخ الشعروای فی أنحاء العالم الاسلامی أن الداعية الإسلامی الكبير إلى جانب علمه الغزيز وورعه وتقواه ، يمثل الإنسان المسلم غير المتزمت ، باعتبار أن الإسلام ليس دين قوالب جامدة وليس دين تجهم ووجه عابس وشفتين مذموتين ، لأن الإسلام دين يسر وتيسير لادين عسر وتنفير كما يحاول البعض أن يأخذ من الدين أشق مافيه رغم أن الرسول ﷺ قال : «إن خير دينكم أيسره إن خير دينكم أيسره» ، ومن هذا اليسر مادعا عليه الصلاة والسلام «روحوا عن القلوب فإن القلوب إذا كلت ملت» .

وقوله ﷺ : «إنها ساعة وساعة» ، عندما جاء أحد أصحابه باكيا ، وهو يقول أنه كان فی مجلسه منذ قليل ثم عاد إلى بيته فشغلته أمور دنياه عن أمور دينه وآخرته ، فطمأنه الرسول بأن المسلمين لو ظلوا على عباداتهم لصافحتهم الملائكة بالليل والنهار ، ولكنها ساعة وساعة ، وهذه الساعة ليس المقصود منها القول السائد : ساعة لربك وساعة لقلبك ، ولكن هذه الساعة والساعة الأخرى هی مافسره قوله ﷺ :

«إن لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فاعط كل ذی حق حقه» لله حق أداء فرائضه فقط ولا مزيد إن اعتقد المسلم أنه يؤديها كما ينبغی أن تكون ، مما تدل عليه حكاية ذلك الرجل الذی جاء يسأل الرسول عما أفترضه الله عليه كمسلم ، فأخبره الرسول بأركان الإسلام الخمسة ، فكان رد السائل أنه يؤديها ولايزيد عليها شيئا من سنن أو نوافل فلم يغضب الرسول ولم يقل له إن دينك ناقص أو أنك فاسق أو غيرها من الألفاظ التی أصبحت متداولة بين بعض متشددی عصرنا الحديث ، بل قال الرسول الكريم السمح عن الذی أراد الالتزام بالفرائض فقط دون أن يزيد عليها أو ينقص منها شيئا: أفلح إن صدق .

الأغبيـــاء

وهذه السماحة من رسول الإسلام هی انعكاس لروحه البسيطة الصافية ، التی كانت تجعله فی بعض المواقف يبتسم أو يضحك حتى تظهر نواجزه ، وهو عليه السلام وإن ضحك ففی غير هزل ، بل كان يضحك وضحكه جد كما تدل عليه قصته مع المرأة العجوز التی جاءت تسأله أن يدعو لها بأن تكون من أهل الجنة ، فأنباها بأن الجنة

لايدخلها عجوز ، فحزنت المرأة وتجهمت ، فضحك الرسول ، ليس سخرية منها أو استهزاء ، وإنما ليأتيها بالبشرى بأن الله سبحانه وتعالى يعيد الشباب إلى من يدخلون الجنة **﴿أنَّا انشأناهن انشاءً فجعلناهن ابكارا﴾ سورة الواقعة آية ٣٦.**

هذه الروح المحمدية هى التى جعلت الله يمتدح عبده ورسوله **﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ . آل عمران آية ١٥٩ .**

وهكذا فمن صفات الداعية إلى دين الله أن يكون سهل المعشر سمحا كريما يخاطب الناس على قدر عقولهم ، وفى رسول الله أسوة حسنة لكل داعية يبغى وصول كلمته إلى من يدعوهم بدعوة الله .

والمتتبع لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى خواطره الإيمانية حول القرآن الكريم ، يجده يشيع نوعا من البهجة وخفة الظل على المحيطين به فيما يرويه فى ثنايا أحاديثه من نوادر وقفشات ، وحكايات مرحة تحبب سامعيه فيما يقول وتجعلهم مقبلين عليه فى يقظة ونشوة .

استمع إليه فى حديثه عن الأغبياء الذين يعملون لحساب غيرهم .

فقد يكون مفهوما أن يعمل إنسان لحساب نفسه ولو بطريق المنكر بما يكسبه من ورائه من شهوة وإن كانت وقتيه إلا أنها تعود بالنفع عليه ، ولكن مابال إنسان يشهد شهادة زور يعود نفعها على غيره ، فأى غباء وأى غبى هذا ، إن مثله كمثل كلب الصيد يعمل لحساب صاحبه ، فراح يطارد غزالا يحاول اللحاق به ، فقال الغزال لتثبيط همته عن اللحاق به : إنك لن تلحق بى أيها الكلب .

فسأله : لماذا ؟ فقال الغزال : لأنك تعمل لحساب صاحبك وأنا أعمل لحساب نفسى ومفهوم أن من يعمل لحساب نفسه يكون أنفع لنفسه ممن يعمل لحساب غيره .

نوع آخر من الغباء المكشوف يتناوله الشيخ الشعراوى فى معرض حديثه عن طائفة تستأذن الرسول للخروج إلى الجهاد وهل فى الخروج إلى الجهاد استئذان ؟ كأنهم يريدون أن يستأذنوه فى ألا يخرجوا للجهاد ، وهؤلاء يشبههم الشيخ الشعراوى بمن

يستأذنون غيرهم فى عمل المعروف ، كالبخيل الذى يقول لضيفه : هل تشرب قهوة أم أنك لست من أهل «الكيف» ، أو هل تتناول طعام العشاء أم أنك تفضل أن تنام خفيفا ، أو هل تبيت عندنا أم أن الفندق أكثر راحة لك !!

أو من يقول أمام ضيوفه ، لأهل بيته : هاتوا الدجاج واذبحوه ، ورد الفعل طبعا هو أن يقول الضيوف : لا والله لن تذبح شيئا لقد أكلنا ولسنا بحاجة إلى طعام .

وفى مقابل هذه الصورة التى يعرضها الشيخ الشعرواى للبخلاء يعرض صورة من الأدب النبوى من سيرة خليل الله ، إبراهيم عليه السلام حينما جاءه ضيوفه من الملائكة وهو لايعلم بهم لتنكرهم ، فظن أنهم يأكلون ، فراغ إلى أهله خفية ليقوموا بواجب ضيافتهم ، وهكذا يكون الكرم بغير استئذان .

فى كازينو طلعت

يجمع الشيخ الشعراوى إذن فى خواطره الإيمانية حول كتاب الله بين القصص القرآنى وبين الواقع فى محاولة لعلاج سلبياته ، فى تصوير ساخر ، وهو مايميز داعيتنا الكبير صاحب الروح الفكهة ، وله من الذكريات الطريفة التى تدل عليها ، ذكرياته مع أصدقائه وأساتذته الشعراء ، لأن الشيخ الشعراوى شاعر ، وإن كان قد شغل بالقرآن عن الشعر .

ومن أصدقاء الشيخ الشعراوى المغفور له «محمد عبد الغنى حسن» ، وكان فوق هذا أستاذا من أساتذته الذين يذكرهم الإمام بالفضل ، فيتحدث عن أستاذه قائلا : حين أريد أن اتكلم عن صديق صار بعد أن صيرته أستاذا لى لأننا كنا نشدو فى الشعر جماعات ، وكنا ننظر إليه رحمه الله ، نظرة الرائد لنا ، فلما جئنا إلى مصر التففنا حوله .

أذكر أننا اجتمعنا معه فى كازينو «طلعت» بباب الخلق ، وإذا به يفتقد صديقنا المغفور له الاخ «مخيمر» ، فقال للأستاذ كامل أبو العينين : تلفن «مخيمرا» ، فقال الأستاذ «كامل» : أتلفنه أم أتلفن له ؟ فقال : «تلفنه» لأنى أريد أن استدعيه إلى هنا ، أما «تلفن له» فتعنى أن تكلمه أى مكالمة مع بقائه فى مكانه ، فقال أخى وزميلى الدكتور «حسن جاد» أطال الله بقاءه : فإذا كنا قد أخذنا من التليفون «تلفنه» وسارت على وفق لغتنا ، فلماذا نأخذ من «التلغراف» أبرقنا وبرقية ؟ وهى تؤدى المعنى ولكنها لاتؤدى المعنى

بأصلية الاشتقاق ، فقال صديقنا د. «عبد العظيم الشناوى» : نقول «تلغفه» ، فقال د. حسن جاد : لا بل قولوا «تغرفه» لأن اللام من حروف الزيادة فحذفها أولى من حذف غير حرف من حروف الزيادة ، فصفق له المغفور له «محمد عبد الغنى حسن» ، وهنا تدخل زميلنا فى الأدب والشعر د. محمد عبد المنعم خفاجى فقال : ليس هذا بجديد فى اللغة لأن هذا أمر قالته العرب وقاله الإمام على بن أبى طالب حينما قال : «مهرجونا» أى أطعمونا طعام المهرجان ، فقال الأستاذ «مهدى مصطفى» : أقال «مهرجونا أم نيرزونا» ، فقال المغفور له «محمد عبد الغنى حسن» : لقد قالهما معا ، يقال هذا يوم المهرجان وهذا يوم النيروز .

وقد جاء المغفور له د. طه حسين رئيسا للجنة الثقافية المنبثقة عن الجامعة العربية، وعقد اجتماعا بمكة المكرمة وقمنا لتكريمه وكان معه المغفور له الاستاذ أمين الخولى ، فقلت فى الكلام شعرا عن د، طه حسين :

لك فى العـــلم مبـدا «طحسنى» ،

ســـار فى العالمين مسرى ذكاء ..

جعـــل العلـــم للرعيـــة جمعـــاء

مشـــاعا كالمـــاء بل كالهـــواء

وقلت بالنسبة لوجود الأستاذ أمين الخولى ود. طه حسين : ياعميد البيان لاتحرم الأزهار عونا عن صائب الآراء وأناديك ياأمين وهذا بعض مايرتجى من الأمناء .. قد غذيتم من بره فاذكـروه ، ذلك بر الابنـاء بالآبـاء .. واصرفوا الناس عن مسارج داره فى مزايا شكلية الأزياء

فكأن النهوض لايتربى بين عبدى عمامة وخمار ،

شغلوا بالإناء والبحث أولى ياهواة العلم بما فى الإناء .

فلما جئت أخبرت المغفور له محمد عبد الغنى حسن وورد ذكر «مبدأ طحسنى» ، فقال هى بنت تلفتنى ، فقلت له : نعم .

بيت واحد وخمسة شعراء

ومن طريف مايذكره الشيخ الشعراوى أيضا : حينما كنا نجلس فى الكازينو ومرت فتاة تلبس ثوبا ضيقا ، فطلب هنا المغفور له «محمد عبد الغنى حسن» أن نقول فى ذلك شعرا فيأتى كل منا بجملة ، وبدأ هو فقال : فضفضى الثوب ، فقال «عوض الوكيل» بل

وزيديه طولا . فقال له «عبد الغنى حسن» : لاتقل : بل وزيديه طولا ، لأنك لاتعلم إن كانت حائكة فتخيط ثوبها أم تخيطه عند أخرى ، لذلك قل : واستزيديه طولا ، أى اطلبى من الخياطة أن تقوم بإطالته ، وقال الاستاذ «محمد عبد المنعم خفاجه» الجملة التالية : وارحمينا ، فقال «د. حسن جاد» : فالجسم بأن فصولا . وقال «مهدى مصطفى» : وأنسبينا ، إلى أن قال : ولو فى سنة أولى ، فقال المرحوم عبد الغنى : لاتكتبوها ، ثم قال : مااحتملنا سهام عينيك حتى .... فأكمل د. «حسن جاد» : تجعلى الجسم كله مسلولا . ثم قال لى عبد الغنى حسن : فماذا تقول أنت : قلت : لو عرف أبى أنى أقول شعرا كهذا وأنا أزهرى سيضربنى ! ، فقال لى : قل ولن يضربك فقلت : واسترى الحسن الذى بطلب الحسن جهارا ..وسكت فقال سهله ، مل: وايجابه والقبولا وهكذا بيت واحد نظمه خمسة شعراء ، كنا نعلم قديما أن قصيدة قالها خمسة شعراء ، إنما بيتا واحد يقوله خمسة فهذا مالم نسمع به من قبل إلا فى مدرسة «محمد عبد الغنى حسن» .

وحين يستعيد الشيخ الشعراوى ذكريات أيام الشباب يعلق ويقول : هكذا كنا نجتمع فى قول الشعر ومناقشة قضايا الأدب وقراءة تفسير القرآن ، وكان الفقر يعيننا فلم نكن نملك من المال إلا مانكاد نأكل به ، وكان طعام عشائنا فى ليلة الجمعة «بطارخ» وكانت الأوقية بثلاث تعريفة والرغيف بأربعة مليمات ، ومليم «بصل أحمر» ، يعنى بقرشين صاغ نشترى طعاما كنا نراه شهيا ، ولا وقت لدينا إلا للعلم ، ويوم الخميس كنا نجتمع فى «كازينو طلعت» بباب الخلق لنقول شعرا ونتحدث فى الأدب ، لا كمثل بعض شباب هذا الجيل الذى يقف على النواصى .

وهكذا وهب الشيخ الشعراوى نفسه للعلم مفكرا ومتفكرا ولذلك يصبح موقفه من قضية العلم والفكر ضروريا ، لما فيها من التباس يتهم فضيلته بأنه ضد العلم وضد الفكر، مع أنه لولا العلم والفكر ، ماظهر لنا رجل داعية ملء السمع والبصر اسمه «الشيخ محمد متولى الشعراوى» والذى تأخر ظهوره عنا إلى مرحلة متأخرة من العمر ، وهو حين نسأله عن ذلك ، يقول : وهل كان بيدى أن أظهر ولم أظهر ؟ ثم إنى أحمد الله أننى ظهرت وأنا فى كامل النضوج وتأخر ظهورى كان لحكمة من الله ، لأننى لوكنت قد ظهرت فى بوادر حياتى ناضجا لكان ذلك قد زادنى غرورا ، وإنما أخذت النضج وأنا أقترب من الله ، إذن

فأنا أستحيى من الله .

وحين أسأله : عما إذا كانت هذه الخواطر الإيمانية هى من الفيوضات الإلهية التى يسبغها الله على عالم مثله ، أو أنها مسألة اجتهاد وممارسة للعلم ؟

فيقول فضيلته : الاجتهاد وضع لكى نعرف الأسباب التى توصل للمفيض ، وكيف نصل للمفيض الذى يفيض علينا ؟ أصل إليه بالتكليف العام والمنهج الذى وضعه للبشر كله، فعندما أحسن استعماله تجد المفيض يقول لى : أنت الآن أصبحت مأمونا على ماتعلم ونفذته فخذ من عندى أكثر .

ومن عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم .

ويضيف فضيلته :

أعطيك مثالا : عندك طفلين ، اعط لكل منهما جنيها ، فأحدهما أنفق الجنيه فى كلام فارغ ، والآخر اشترى كتابا أو مصحفا أو شيئا لاخته ، فكيف يكون موقفك من هذين الطفلين ؟ من المعروف أنك ستعطى الإبن الذى اشترى أشياء تنفعه ، جنيها واثنين وثلاثة ، لأنك عرفت أنه سينفقه فى أشياء مفيدة ، وفى نفس الوقت ستمنع عطاءك للآخر، كذلك الله ، إذا أحسن الإنسان التصرف ، زاده من عنده ومن علمه ، وإذا أساء التصرف منع عنه العلم .

ولكن كيف ينظر الشيخ الشعراوى إلى العلوم التجريبية ، وكيف ينظر إلى المفكرين الذين بدأوا حياتهم متشككين ملحدين ؟ وقضايا أخرى متعلقة بالعلم والفكر نستمع فيها الى رأى فضيلته عبر هذا الحوار .

الفصل الخامس

نحن وأوربا
بين حرية الفكر وحرية العلم

إذا كان الحق يريد من الإنسان أن ينفعل ذلك الانفعال ليصل إلى أسرار الكون فما الذى يبدد طاقات الإنسان ؟ إنه تصادم الأهواء والأفكار نتيجة اختلافها .

الشعراوى

عندما توافق عيد ميلاده فى ١٥ ابريل ، حمد الله على مامضى من عمره داعيا بما دعا به رسول الله ﷺ أن يحييه مادامت الحياة زيادة له فى كل خير وأن يتوفاه مادامت الحياة زيادة له فى كل شر .

وحينما ذهبت لأهنىء فضيلة الداعية الاسلامى الكبير الشيخ محمد متولى الشعراوى بعيد ميلاده كمدخل للحوار معه ظننى سوف أساله فيما يتعلق بهذه المناسبة الشخصية فقال «أسألنى فيما يفيد المسلمين» فقلت له : إن ظاهرة الاحتفال بأعياد الميلاد أيضا هى مما يهم المسلمين وقد انتشرت بينهم فما رأى فضيلتكم فيها ؟ فقال : إنها ظاهرة مستوردة مثل كل الآفات المستوردة ولا شغل للناس إلا أن يلتمسوا مناسبات للبذخ والإسراف . فسألت فضيلته : وهل ينطبق هذا على الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ؟ قال : لاتجعل الاحتفالات بمولد النبى ﷺ كالاحتفالات بأعياد الميلاد لأن مولد النبى ذكرى سنظل نكررها لنذكر المسلمين معها بمنهج الله ورسوله .

سألت فضيلة الشيخ الشعراوى : ولكن مثل هذه المناسبات تبعد للأسف عن الغرض منها فتتحول إلى مناسبات للطعام والشراب والحلوى؟

قال : الطعام والشراب والحلوى وغيرها أشياء يسعد بها الأطفال لأنها تحبب لهم المناسبة بجنس مايحبون ، فتقول للطفل : خذ هذه حلوى مولد النبى . خذ هذا فانوس رمضان أو كنافة أو قطايف رمضان خذ هذا طعام عاشوراء ، فمثل ذلك يشيع بين الأطفال البهجة ، وكلما كبروا وحلت ذكرى المناسبة أو الموسم الدينى ، اتسعت مداركهم لفهم سبب الذكرى أو الموسم ، ومن هنا تربى القداسات فى نفوس الأطفال من خلال المناسبات والأعياد والمواسم الدينية .

ولماذا نذهب بعيدا ، أليست عند الأوروبيين عادة الاحتفال بليلة رأس السنة وتذكير أطفالهم من خلال مايسمونه «بابا نويل» الذى يحمل الهدايا ، أليس شيئا غريبا جدا أننا لاننتقد هذا بينما نحن ننتقد طرق الاحتفال بأعيادنا ، فى الوقت الذى نقلد فيه الغربيين فى أعيادهم مثل أعياد الميلاد وغيرها ، بينما كان الواجب علينا كمسلمين ألا نأخذ من حضارات أوربا وامريكا إلا ماينفعنا فى تقدمنا ، فلا تستهوينا الحضارات الأجنبية إلا بقدر ماتنتهى إليه من خير يمكن الانتفاع به فى كل وقت .

وخذ «العلم» مثلا لماذا لايأخذ المسلمون به ، لقد أخذ به المسلمون الأوائل فأقاموا حضارة وضعت أقدام أوربا على أبواب عصر النهضة ، ولكن العلم عند الأوربى قد يتخذ منه وسيلة دمار لأنه دخل به بغير منهج قيمى ، أما المسلم لو أخذ بالعلم فسيأخذ بمنهج قيمى ولايضر ، فيا ليت المسلمين يقلدون فيما ينفع ، ولكن الحاصل أنهم يقلدون فيما لاينفع ولانفع فيه ، فأصبحوا فى الذيل بعد أن كانوا فى المقدمة .

تحرير العقل

● **سألت الشيخ الشعراوى ، أين يقف الاسلام من العلم ؟**

ـ قال فضيلته : لأن الإسلام قد جاء اثر ديانة استغل فيها الكهنة سلطتهم ليبسطوا الكهنوت على العقل البشرى ، فوقفوا أمام العقول الطموحة ، وقتلوا العقول المفكرة ، فإن رسول الله ﷺ لما جاء بالإسلام بعدها أراد أن يضع حدا للكهنوت الفكرى حتى لايعطى خلفاءه من العلماء سلطة الحجر على العقل من أن يفكر ، ولا على التجربة أن تؤتى أكلها فى كل حين ، فشاء ﷺ أن يجعل التجربة فى نفسه تشجيعا ، حتى لايدعى أحد سلطة على العقل البشرى الباحث من بعده .

فترى الرسول ﷺ يسأل أصحاب النخل : لماذا تلقحون النخل ؟ قالوا : لو لم نفعل لفسد التمر فقال عليه الصلاة والسلام : لو لم تلقحوه لصلح .

قال الرسول ذلك وهو على ثقة أن «النخل» لن يصلح ثمره بدون تلقيح ، فلما جاء الواقع مؤكدا أن «النخل» يفسد ثمره بدون تلقيح ، أطلق ﷺ القضية التى يريد أن يعلم بها أمته تحريرا للعقل والفكر ، فقال : أنتم أعلم بشئون دنياكم .

ذلك هو اطلاق حرية الفكر فى المعمل والتجربة والكون ، لأن الكهنة لما تدخلوا قتلوا كل طموح وتأخرت أوربا فى العصور الوسطى وعاشت فى الظلمات بينما تقدم الشرق فى عصر الإسلام وأصبح فى عصر النور بفضل تشجيعه العلم والعلماء ، ومن هنا يتبين أن الإسلام دين حرية الفكر وحرية العقل كيفما يشاء بحثا وتجربة ، ولهذا تقدم المسلمون فى عصورهم الزاهرة ، وعندما تركوا الفكر والبحث والتجربة تخلفوا ، ولا سبيل لتقدمهم إلا أن يأخذوا بالعلم والبحث والتجربة والفكر ، بما تفوق به عليهم اعداؤهم .

أدب الاجتهاد

● **الاجتهاد فى الاسلام بابه مفتوح إلى أى مدى ؟**

ـ الشعراوى : الاجتهاد أمر محمود فيما لم يرد فيه نص ، الأمر الذى تركه الله لنا بدون نص ، قال لنا أنتم أحرار «ارمحوا» فيه بفكركم ، ولكن خذوا بالكم مادام ليس فيه نص وفيه احتمال لرأى هذا ورأى هذا ، فليحترم كل منكم رأى الآخر ، بل إن وجود النص نفسه محتملا للفهم والاجتهاد ، هو اذن من الله أن نختلف فيه ، ولكن الخطر أن يذهب مجتهد الى رأى فيكفر من دونه ، ولذلك كان أدب المجتهد أن يقول «ماوصلت اليه خطأ يحتمل الصواب وماوصل اليه غيرى صحيح يحتمل الخطأ» .

بين الاصالة والمعاصرة

● **ماهو موقف الاسلام بين التراث وحفظه وحضارة العصر وما أدت اليه ؟**

ـ إذا أردنا الحفاظ على تراث فكرى أو مادى فإننا يجب أن نلحظ أن هذا الحفظ للتراث ليس مجرد تكريس لماض بعيد نعتز بقيمته لمجرد قدمه بمرور السنين عليه ، وإنما يجب أن نستفيد من التراث الذى نعمل على حفظه بدراسة ماقدمه من خير لم ينجب شرا بعده ، بما يفيدنا فى أسلوب النظر إلى الحضارة الغربية الحديثة ، بحيث لاتستهوينا إلا بقدر دراستنا لما تنتهى إليه من خيرات تكمن فى الانتفاع بها على المدى البعيد ، لا بما تنتهى إليه من خيرات عاجلة وشرور آجله تتسرب فى الزمن وأثناء الزمن .

وإذا أردنا أن ننسب كل تراث وصلنا ، لوجدنا أن كل جيل قد أخذ من الجيل الذى سبقه تراثا ، والجيل السابق عليه أخذ ممن سبقه ، وهكذا إذا سلسلنا ماأخذته الأجيال عن بعضها فسوف نصل فى النهاية إلى جيل لم يأخذ التراث عن مثله بل أخذه ممن خلق هذا الكون .

كونــــــان

لذلك يجب أن نعلم ونحن نحتفظ بتراث مادى أو فكرى أن الأصل فيه ليس للإنسان نشاط فيه ، لأن مقومات كل تراث موجودة فى الكون بيد الحق الذى خلق الكون ، سواء كان تراثا ماديا بما فى الكون من مواد خلقها الله للإنسان لينتفع به بقدر نشاطه فيها ،

وسواء كان تراثا فكريا أوجده الله بما جعله فى الإنسان من عقل يعى ويفكر بمقومات ماعلمه الله له ممثلا فى آدم حينما علمه الأسماء كلها كما ذكر الحق **﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ البقرة ٣١ .**

وإذا نظرنا إلى الكون وجدناه ينقسم إلى كونين ، «كون» لم يتأثر بالإنسان ، و«كون» آخر تأثر بالإنسان ، وسنجد أن الكون الذى لم يتأثر بالإنسان وأدى له كل النفع لاستيفاء حياته ونفع مدنياته ، من شمس تشرق ، وقمر يسطع ، ومطر يهطل ، وأرض تعطى ثمارها لمن يتفاعل معها .

فهذا الكون الذى لم يتأثر بالإنسان وأدى له كل هذا النفع ، لم ينشأ فيه فساد ، ومن رحمة الله أن جعل المقومات الأساسية لحياة الإنسان لادخل للإنسان فيها إلا بالقدر الذى لايؤثر على استطالة بقاء حياة الانسان ، بل يأخذ الإنسان منها بما لايؤثر فى أصل الوجود ، فليس للإنسان سيطرة على الهواء فيحجبه وإلا لمات إنسان بمجرد منع إنسان آخر له عن استنشاق الهواء إذا كان فى إمكانه امتلاكه ، لذلك جعل الحق صبر الانسان على الهواد بمقدار شهيق وزفير فجاء الهواء فى مقدمة مالا يقدر الإنسان على الامتناع عنه ولذلك لاسيطرة لإنسان عليه ، وإذا أتينا إلى الماء فمقدار الصبر عليه من ثلاثة إلى عشرة أيام وارتفع الصبر عن الطعامإلى شهر أو يزيد ، مما يتيح للإنسان أن يتصرف أو تزول أسباب منعه عنه، وهكذا جعل الله مقومات حياة الانسان لادخل فيها ولاسيطرة له عليها كلما كانت أساسا فى استبقاء حياة بنى جنسه .

انقسام الانسان

وإذا نظرنا للكون ومخلوقاته نجد أن الله ذلله وسخره له ، فنجد الأجناس المتعددة كالحيوان والنبات والجماد ، لا اختيار لها ، فهى مسخرة بقانون من خلقها لخدمة الانسان لاتمتنع عليه ولا تعصى .

وإذا نظرنا إلى ما للإنسان دخل فيه لو أخذه بمنهج الله «افعل ولا تفعل» لاستقام له أمر الوجود ، ولذلك إذا رأيت فسادا فى الأرض فأعلم أنه مما للإنسان اختيار فيه ،

وعلى الإنسان ألا يتهم إلا نفسه .

وعندما تحدث الحق عن السماوات والأرض والشمس والقمر والجبال والنجوم والنبات والدواب ذكر أنها تسجد لله ، جميعا لأنها مسخرة خاضعة تؤدى مهمتها لخدمة الانسان ، وعندما تعرض الحق للجنس الثانى وهو الإنسان انقسمت المسألة عنده فى مسألة الطاعة فقال **﴿وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب﴾ الحج ١٨.**

فكثير من الناس يأخذون خير الله ليفسدوه بآلاتهم وحضارتهم وتجاربهم ، صحيح أنهم يفعلون لمنفعة البشرية ، ولكن على الإنسان وهو يعالج شيئا ألا ينظر للعلاج بل لمخلفات هذا العلاج فيمنعه من أن يسبب ضررا .

أحســن الخالقيــن

فإذا نظرنا مثلا إلى السيارات نجد أنها أراحت الإنسان كثيرا من المتاعب فى السفر والانتقال ، ولكن هذه الوسيلة إلى جانب مانفعت الإنسان فقد أضرت به وسببت له متاعب يشعر بها الآن ، نتيجة تلوث الهواء والبيئة بعوادم السيارات ، فما يصنعه الإنسان له ثمن يدفعه من حصته ، وذلك يجعلنا نحس الفرق بين صنع الخالق وصنع المخلوق ، فبمقارنة صنع الإنسان للسيارة وماخلفته من عوادم تلوث الهواء الذى يستنشقه ، فإن صنع الله من خيل وبغال وحمير هى أيضا وإن كانت تنقل وتحمل ولكن بشق الأنفس ، إلا أن لها هى الأخرى أشياء ومخلفات نسميها العادم بما تخرجه من فضلاتها ، ولكن هذه الفضلات والعوادم مفيدة فى تخصيب الأرض بما يعود بالخير والثمرات على الناس ، وهذا هو الفرق بين صنع الإنسان وصنع الخالق **﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ المؤمنون ١٤ .**

ولكن ليس يعنى هذا أننا ضد حضارة الإنسان وسعيه للتقدم والتطور من أجل سعادته وراحته ، ولكن على أن يكون مايصنعه الإنسان من حضارة مادية وفكرية بقصد الصالح العام بداية ونهاية ، ولكن الحضارات حين تجىء تصنع ماذا ؟

إنها وإن بدأت صلاحا فى بداية الامر ، فقد تهبط بأشياء فى نهايتها .

● ولكن هل نفهم من هذا أن يترك الانسان الكون على ماهو عليه لايتفاعل معه ولا يستفيد به ؟

كلا وإنما على الإنسان إن لم يقدر على التفاعل مع الكون بما يزيد الصالح صلاحا فليتركه ، لذا يجب أن نستقبل كون الله ماجعله الله صالحا فى ذاته ، فإذا أردنا أن نزيد الصالح صلاحا يجب أن نتنبه للمعادلات الدقيقة التى تعطى الخير ولا تخلف شرا.

ولكن إذا كان للانسان فكره الاختيارى ، فإن اختياره انقسم ، فمنه الطائع ومنه العاصى ، بينما كون الله طائع مسخر لخدمته بما لايأتى من ورائه فساد ، بينما الانسان الذى أوجده الله مختارا يأتى الفساد من ناحيته ، فلماذا جعل الله له الاختيار ؟

لذلك حكمة وهى أن الكون بطاعته وعدم تخلفه عن مراد الله ، يثبت بذلك طلاقة القدرة لله ولكنه لايثبت المحبوبية للخالق ، ولكن الإنسان المخير فى أن يفعل أولا يفعل إذا وجه اختياره إلى طاعة ماأمر به الله ، فذلك دليل على محبوبيته للخالق .

ضمان حياة الانسان

اذن فالحق يثبت أن لاشىء يخرج عن مراداته إلا اذا تركه مختارا .

● فهل يترك الحق الانسان على اختياره فيضل ولا يهتدى ؟

ـ لا إن الحق يبعث برسول معه منهج يبين للإنسان أن يفعل هذا ولايفعل ذلك . فاذا استجاب المؤمن لها كمرادات الله انسجم الوجود مع فعل الانسان طبقا لمرادات الله فتسلم الحياة .

لأن الانسان محتاج إلى شيئين هما قوام حياته فى الأرض ، هما الوجود المادى والوجود الروحى ، ففى الكون من ماديات الحياة مايكفل للانسان معيشته . ولكن تصبح حياة الانسان ناقصة بدون قيم الحياة ، التى تعصمه من الزلل والفساد ، هذه القيم هى منهج الله فى الأرض الذى جاء به الرسل بكتب أنزلها عليهم ، وهكذا أراد الحق أن يضمن حياة الانسان بالماديات الموجودة فى الكون المسخر لخدمة الانسان ، وبالأمر القيمى بمنهج : أفعل ولا تفعل ، فتتحقق سعادته .

ولذلك تجد أن علماء المسلمين فى العصور الوسطى قد اقاموا حضارة علمية نفعت العالم دون أن تخلف أضرارا لأنهم كانوا ملتزمين فى معاملهم وتجاربهم وفكرهم بمنهج

الله الذى يفيد وينفع ولا يضر أو تكون له آثاره الجانبية .

اعتـــــدال

ولكن علماء أمريكا وأوربا فى عصرنا الحديث نجدهم قد استخدموا العلم فيما يضر بالبشرية أكثر مما ينفعها ، فتفننوا فى صنع أدوات الدمار والتخريب ، لأنهم دخلوا على العلم بغير منهج قيمى يجعلهم يفعلون هذا لأن فيه منفعة ، ويجعلهم لايفعلون هذا لأن فيه ضررا .

حتى تلك الأدوات التى صنعوها لراحة الانسان ورفاهيته .

فقد أصبح الليل نهارا بأجهزة الإضاءة الحديثة وظل الناس ساهرين ، حتى القروى يظل متيقظا طيلة ليلة فيصبح فى الصباح خائرا عن أداء مهمته ، ووصل الأمر إلى الاطفال ، فأصبحت الكثرة الغالبة منهم يضعون النظارات على عيونهم لبحلقتهم أمام التليفزيون طيلة وقت الارسال ، وما وفرته الثلاجة والغسالة من وقت للمرأة أضاعته أمام أجهزة التسلية من تليفزيون ، ثم الفيديو ، فأين الزمن الذى وفرته الالآت للانسان ؟ فما وفرته آلات ابتعلته آلات أخرى ، فأصبحت المعادلة خسرانة ، لذلك يجب علينا أن نستفيد من العلم بقدر مايخلف خيرا ، ونرشد استخدام الأجهزة التى تخدم الإنسان والتى ترفه عنه حتى تستقيم حياة الانسان بالاعتدال بما حث الاسلام عليه ودعا إليه .

الاختراع دليل العجز

● لماذا لم يعط الحق سبحانه وتعالى الانسان كل القدرة على العلم ليخترع ويكتشف كل أسرار الكون منذ اللحظات الأولى التى أوجده الله فيها فى الكون ؟

ـ شاءت حكمة الحق أن يكون عطاؤه للعقل البشرى عطاء فيه إثبات لقدرة االله وأنه لم يخلق هذا الكون وقوانينه ثم تركه ولم يعد له به شأن كما يقول المشككون .

ولكنه سبحانه يذكرنا مع كل اكتشاف جديد وكل اختراع جديد بقدرته فييسر للمخترعين والمكتشفين الطريق ، حتى إذا حان الوقت الذى أراده الله ظهر الاكتشاف أو الاختراع عندما جاء موعد ميلاده للبشر فيخرج العلم من القادر وهو الله إلى غير القادر وهو الإنسان بكلمة «كن» حتى أن هناك بعض الاكتشافات اكتشفها الإنسان بالصدفة مثل

«الكسندر فلمنج» مكتشف «البنسلين» وذلك لأن موعد ميلاد هذا الكشف قد حان فييسر الله كشفه بغير قصد من الإنسان الذى مع كل اختراع جديد وكشف جديد يثبت أنه عاجز محدود القدرة والعلم ، وإلا لو لم يكن عاجزا لاخترع الشيء الفلانى أو اكتشف هذا الشيء الآخر قبل اليوم ، مما يعنى أن عقله قاصر مما بلغ وأن الله قد خلق مانرى وخلق مالا نرى ويخلق مالا نراه الآن وقد نراه فى المستقبل ويخلق مالا نراه إلا فى الآخرة ، فهو قد خلق في الكون ماهو فوق قدرة العقل وماهو فوق قدرة البصر وماهو فوق قدرة السمع.

فلو قيل لك منذ أكثر من مائة سنة أنك ستركب طائرة تطير بك فى الهواء بين بلاد الدنيا ، هل كنت تصدق ، بل إنك قد تتهم من يقول لك ذلك بالكفر والجنون .

لأن ذلك كان فوق قدرة العقل ، حتى إذا أراد الله اكتشاف الطيران انتقل هذا العلم بكلمة «كن» من علم الله إلى علم البشر وأصبح الطيران أمرا عاديا ، ولا يحسبن الإنسان أنه قد غير فى طبيعة «الجو» لتكون له القدرة على الطيران لأن قوانين الطيران موجودة بقوانين الغلاف الجوى والريح ومعادن الأرض التى صنع منها الطائرة فلم يأت الإنسان بجديد .

وكذلك التليفزيون فى حجرتك لاترى فيه شيئا ، حتى إذا أردت رأيت صورة أمامك ، فمن أين جاءت ؟ من محطة الإرسال ، وهل هى موجودة فى الحجرة ؟ موجودة ولكن على شيء لاتدركه عيناك ، فالتليفزيون اعتمد على خصائص فى الكون خلقها الحق ولكنها كانت فوق قدرة البصر ثم أصبحت فى قدرة بصر الإنسان بالاستعانة بعوامل مساعدة كشفها الله لهذا الإنسان ، ونفس الشيء بالنسبة لجهاز الراديو ، فلو أنك قلت لإنسان الماضى أنه بإمكانك أن تتكلم ويسمعك العالم كله ، لرماك «بالتخريف والخبل» ، ولكن هذا ممكن الآن ولم يخترع الانسان موجات الأثير التى تحمل الصوت إلى الدنيا كلها ولكنها كانت موجودة فى الكون منذ خلقه الله ، فلما كشفها الله لك استخدمتها فاستطعت أن تسمع اليوم مالم تكن تستطيع سماعه فى الماضى برغم أن قدرتك على السمع موجودة منذ الأزل لتسمعه صوتا يأتيك من آخر الدنيا ولكنها كانت غيبا عنك كشفه الله لك فاستطاعت أذنك أن تسمع .

لذلك يجب أن تعلم أيها الانسان أن قدرتك محدودة ، وعلمك محدود بدليل أن هناك مافوق عقلك وبصرك وسمعك ، وتعترف بما كنت تنكره على هذه الحواس فى الماضى ، فقد أراك الله من أسرار الكون مالك تكن تراه أو تحسب أنه موجود ، فثبت لله القدرة والكمال ، وثبت لك أيها الانسان العجز والنقص ، فهل تستطيع أيها الإنسان العاجز الناقص أن تقنن لنفسك ؟ إنك لن تستطيع لأن أية صنعة لن تستطيع أن تضع لنفسها قوانين صيانتها ، وأنت صنعة الله والله هو الذى يضع لك القانون والمنهج فاذا ماجاء لك الحق وقال لك إننى أقنن لك وأضع لك منهجا تستقيم به حياتك هل تقبل أيها الانسان أن ترفض ؟

إن العاقل هو الذى يأخذ منهج الله على العين والرأس ، والمغرور والجاهل هو الذى لايرضى إلا بقوانينه هو ، وحتى هذه القوانين يعدلون فيها ويغيرون ويبدلون بعد أن ثبت فشلها لأنها وضعت بأهواء البشر . أما رب البشر وخالقهم فلا هوى له ولا غرض فى مصلحة الإصلاح للبشر بما يضعه لهم من منهج .

ولكن المضللين يقولون إن منهج الله هو تضييق لحركة الانسان وقيد على حريته حينما يقول الله «لاتفعل» وهم ينسون أن كلمة لاتفعل هى من الله حجب للشقاء عن المجتمع البشرى .

فالحق سبحانه وإن قيد حركتك فى ممتلكات الغير وحرماتهم فقد قيد حركة المجتمع كله من أجلك ولا فكيف تستطيع وأنت فرد أن تواجه المجتمع كله إذا ابيح الاعتداء على عرضك مقابل أن تعتدى على عرض الناس فهو فى هذه الحالة لم يقيد حريتك ولكنه منع عنك شرا كبيرا .

إذن فمنهج الله هو حماية للناس من أنفسهم وحماية لكل إنسان ، لتعيش آمنا مطمئنا فى بيتك ومالك وأسرتك ، فمنهج الله نعمة من الله وإلا فكيف يمكن أن تكون حياة الناس بلا قانون يحميهم من أنفسهم ، ومنهج الله هو القانون الذى يحمى البشر من الشر، ولو خلق الله الإنسان بدون تعلم المنهج ، وتركه بدون منهج إنما يكون ذلك شراً للبشرية كلها لأن الإنسان من غير منهج ، وباتباعه هواه وحده إنما يقلب هذا الكون إلى كون الشر والألم والبؤس والشقاء ، ولما كان الله يريد للانسان الخير علمه المنهج . علمه

القرآن ، علمه أن يستعين فقال له لاتبدأ عملا إلا وأنت تستعين بالله ليكون معك .

نظـــرية داروين

● ثار جدل طويل وكثير عندما ظهرت نظرية النشوء والارتقاء والتي تعود بأصل الانسان إلى القردة ورغم أن كثيرين فندوا هذه النظرية بحيث أصبح الحديث فيها تحصيل حاصل إلا أن تكرار عرض مثل هذه القضايا على فضيلة الشيخ الشعراوى يحمل لنا دائما الجديد والجديد ، لأنه يقرن الدين بالعلم ويقرن العلم بالدين لأنه لاتعارض بين الاثنين فكلاهما يكمل الآخر لأن مصدرهما واحد هو الحق الذى جعل الدين حياة منهة فيما تتصادم فيه وعليه الأهواء وجعل العلم حياة تجربة لا أهواء فيها ومن هنا يجيب الشيخ الشعراوى على سؤال خلق الانسان بما يقنع المتدينين وبما يقنع من لادين لهم سوى العلم .

- يقول شيخنا : يقول الحق **﴿ماأشهدتهم خلق السموات والأرض ولاخلق أنفسهم وماكنت متخذ المضلين عضدا﴾ الكهف آية ٥١ .**

لم يكونوا موجودين حينما خلقت الظروف التى سيوجد فيها الإنسان ، لذلك خذ المعلومات ممن خلقها ، لكن سيأتى ناس يضلون ويقولون أن الأرض انفصلت عن الشمس ، وأن الانسان أصله قرد ، هؤلاء سماهم الحق ، مضلين ، ووجودهم دليل صدق فيما قال، ولو لم يوجدوا لم يصدق القرآن .

ومن هم هؤلاء المضلون ، إنهم طرأوا على شىء ويدعون لمن خلقه ، طريقة خلقه ، فهل شهدوا خلق أنفسهم ، وهل اتخذهم الله عضدا ليساعدوا ، ثم جاءوا من خلفه ليخبروا الناس بأصل الخلق ، إنه لايخبر عن الشىء المخلوق إلا خالقه .

والحق يبين لنا فى آياته أن أصل خلق الإنسان من تراب وطين حمأ وصلصال كالفخار .

ومن يتصيدون للقرآن الأخطاء يقولون إن هذا تناقض ، وهم لايفقهون أن هذه هى مراحل خلق الانسان متكاملات ، فالماء يوضع على التراب فيصير طينا ، والطين ترك حتى يتعفن فأصبح (حمأ مسنون) وبقى حتى جف فصار صلصالا كالفخار ، تبقى المسألة حلقات ونحن لم نشهد هذا الخلق ، لكن الله قال لنا ، والواقع المادى أكد صدق

ماقال الحق ، فنحن قد شهدنا الطين ينبت فيه الزرع ، ولما جاءوا يحللون جسم الإنسان وجدوا به ستة عشر عنصرا ، والذى قام بالتحليل هم غير المؤمنين ، فوجدوا أن جسم الإنسان به ستة عشر عنصرا تبدأ بالأكسجين وتنتهى بالمنجنيز ، ولما حللوا طين الأرض وجدوه يتكون ايضا من ستة عشرة عنصراً تبدأ بالأوكسجين وتنتهى بالمنجنيز وصدق الله حين قال **﴿سنريهم أياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ فصلت ٥٣ .**

فهكذا يحفظ الحق القرآن ليصدقه الكون ، صحيح لم نحضر خلقنا ولكننا حضرنا «الموت» فجعل الله من لطفه بخلقه مما نشهد وهو «الموت» دليل صدق على مانشهد وهو بداية الخلق .

فما معنى الموت ؟ إنه نقض الحياة ، وإذا أردت أن تنقض شيئا فماذا تفعل ؟ إنك تنقضه على عكس البناء من أول دور بنيته ، وكذلك نقض بنية الإنسان الذى بدأ من تراب وماء صار طينا ثم يخمر ليتحول إلى حمأ مسنون ثم يجف صلصالا كالفخار ، ثم سواه الحق ونحته ونفخ فيه الروح فصار إنسانا ، فآخر شىء فى الإنسان «الروح» وهى أول شىء يخرج منه حين نقض بنيته ، ثم يبدأ الجسم فى التحلل حتى يعود إلى أصل خلقه ماء يتبخر وحفنة تراب تتبقى .

إذن فموت الانسان دليل على صدق الله فيما أخبرنا عن خلق الإنسان إذن لانصدق كلام أى مصدر آخر عن خلق الإنسان إلا الحق الذى خلق الإنسان ، حتى لانتوه فى متاهات وتخمينات ينقصها الدليل .

أى جمــع هــذا

● كما يصدق العلم الحديث القرآن الكريم فقد صدقت الأحداث أيضا للقرآن أيام الرسول فكيف حدث ذلك ياشيخنا ؟

ـ يقول الامام الشعراوى :

نعم فالقرآن الكريم يخبر عن الوليد ابن المغيرة بقوله **﴿سنسمه على الخرطوم﴾ القلم ١٦** يحدد القرآن الموضع الذى سيقطع منه الوليد على أنفه محل العظمة والأنفة والكبرياء ، وعظمة الخبر الإلهى أنه جاء فى وقت كان المسلمون فيه قلة

ضعيفة ، فلم يلتفت أحد لهذا الخبر ، حتى سيدنا عمر حينما يسمع الحق يقول **﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ القمر ٤٥** ، يقول «أى جمع وأى دبر ونحن لانستطيع حتى أن ندافع عن أنفسنا» .

ثم تأتى غزوة بدر ويقول عمر «صحيح لقد هزم الجمع وولى الدبر» ، وتقطع أنف الوليد بن المغيرة كما أخبر القرآن .

وأيضا حينما يخبر الكتاب الكريم عن انتصار الروم خلال بضع سنين ، فى الوقت الذى هم فيه مهزمون ، فيقول **﴿غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين﴾ سورة الروم ٢ ، ٣** ، فتصدق الأحداث القرآن الكريم وينتصر الروم ، إذن فلو جاءت آية وكذبتها الأحداث فإن من آمن سوف يكفر ، ولكن لأن الحق هو القائل ، فإنه لايكذب أبدا .

عمر وهبوط نوازع الصلف

● كلام الله لرسوله المجموع فى قرآنه هو معجزته لأمته ﷺ .. والكلام يقتضى سمعا .. فلماذا كانت المعجزة للأمة المحمدية معجزة سمعية ؟

- يقول الشيخ : جعل الحق معجزة رسوله ﷺ معجزة كلامية تسمع ولا ترى كعصا موسى مثلا .

فجاء القرآن معجزة مسموعة لأن السمع آلة إدراك ، وهى أول حاسة إداركيه تنتبه فى الإنسان ساعة أن يولد ، ولأهمية السمع كأول حاسة إدراك للبشر حينما يوجدون فى الأرض : فقد كان أول خطابات الله إلى الرسول ، السمع لا الرؤية .

وتجد أيضا ان السمع هو أداة الادراك الوحيدة التى تستصحب الإنسان وقت النوم لأنها تكون مستعدة للتنبه لأن بها آلات الاستدعاء ، لذا فأن الحق حينما أراد أن ينيم أهل الكهف ثلاثمائة وتسع سنين فى كهف فى جبل وسط صحراء تهب عليها زوابع ورياح وأصوات وحوش ، فقد عطل الحق حاسة السمع لدى أهل الكهف ، لأن أذانهم لو ظلت على طبيعتها لسمعت ، لذا كانت الأداة الوحيدة التى عطلها الحق لدى أهل الكهف خلال نومهم هى أداة السمع ، لأن كل الأدوات الأخرى معطلة بطبيعتها بقانون النوم .

لهذه الأهمية والمكانة التى «للسمع» المصاحب للإنسان فى صحوه ونومه ، جاءت معجزة الرسول من جهة السمع ، ولأنك حين تتثقف وتعرف لابد أن تكون قد سمعت أولا ، لأن السمع هو ألف باء المعرفة ، لأن كل شيء يترتب على السمع ، لذا كانت معجزة الرسول هى «القرآن» معجزة قائمة على أول الأدلة فى الوجود الإنسانى وهى «السمع» أول وسائل الإدراك ، لأنه لاخيار للناس فى ألا يسمعوا ، إنما الرؤية ممكن أن نغطى عيوننا فلا نرى .

ولكن هل كل من يسمع يعى ويفهم ويهتدى ؟

إنك تجد واحد سمع ولم يهتد وآخر سمع وأهتدى فلماذا ؟

إننا يجب أن نفرق بين الفاعل للفعل ، والقابل للفعل ، فلو وجد الفاعل للفعل ، والقابل له وجدت الثمرة المرجوة ، فإن لم يوجد القابل للفعل فلا ثمرة .

فأنت مثلا تقول لتلميذين : استيقظا مبكرا للذهاب إلى المدرسة ، فأحدهما سمع وعمل بما سمع والآخر لم يقبل ولم يعمل بما سمع ، إذن فالفعل واحد ولكن القابل يختلف، فناس كانوا بعد أن يسمعوا الرسول يتلو القرآن ، يقولون **﴿ماذا قال آنفا﴾ محمد ١٦** ، وناس آخرون كانوا يخشعون لما سمعوه فالمتكلم واحد ولكن السامع مختلف مثلا ولله المثل الأعلى عندما تنفخ فى يدك «تدفئها» وعندما تنفخ فى الشاى «تبرده» ، وهذا هو الفرق بين مستمع ومستمع ، كما أن هناك فرقا بين واحد نظر فى الكون فانفعل معه حينما تأمل فوجد كونا دقيق الصنع وشمسا تضىء العالم ولا تتوقف عن الإضاءة ولا صيانة لها ، وآخر يرى كل هذا فلا يدله على شيء .

ولكن هناك من يسمع ويعرف لكنه ينكر استكبارا كصناديد قريش مثل «النضر بن حارث» ، «والوليد بن المغيرة» ، و«شعبة بن ربيعة» ، و«أمية بن خلف» ، وحينما سئل أحدهم وهو «النضر بن الحارث» عن رأيه فيما سمع من قرآن : «أسمعت كلام محمد ؟ ، فقال : ماأدرى أنه أساطير الأولين ، فقال أبو سفيان : قال «النضر» الحق ، فقال أبوجهل:اسكت أنت .

فكأنهم معترفون بأن ماجاء به محمد هو حق وصدق ولكنهم معاندون متكبرون ، يدعون بما ليس في قناعاتهم أن القرآن هو أساطير الأولين ، ولكنهم يناقضون أنفسهم

حينما يتمنون **﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ الزخرف اية ٣١** ، فحجة عدم إيمانهم أن القرآن نزل على محمد الضعيف اليتيم ، ولو نزل على رجل من عظماء القريتين فى مكة أو الطائف لآمنوا به ، إذن فهم كذابون ، والمسألة ليست عدم اقتناعهم بالقرآن ومافيه ، بدليل أنهم كانوا منجذبين لسماع القرآن .

ويجدون أنفسهم عند شباك بيت الرسول ليسمعوا القرآن لأنهم أمة بيان ، فلما تقابلوا على غير موعد عللوا المسألة ببارد الأعذار استكبارا ، فهم مقتنعون بالقرآن وبدعوة الرسول ، ولكن مطلوبات الإيمان صعبة عليهم ، فيرفضونها حتى يحتفظوا بسيادتهم ، ولكن بعضهم فى النهاية كان يلين ولايجد من الحق مهربا إلا بالإيمان بالحق ، فتجد أن عمر بن الخطاب حينما سمع القرآن من أخته «حفصة» وزوجها ، ضربها وأسال الدم منها وحينما تحركت فيه عواطف الأخوة هبطت معها نوازع الصلف والعناد ، فأصبح الذهن مستعدا ، فطلب أن يقرأ فى الصحيفة التى كانت تقرأ فيها ، ولما قرأها خشع قلبه وأعلن إسلامه ، كما آمن «خالد بن الوليد» ، وغيره من أكابر المحاربين المعادين للإسلام ، أسلموا دون أن يجبرهم أحد على الإسلام .

جريمتـــــان

● وفى هذا رد على من ادعوا أن الاسلام قد انتشر بالسيف ، لأن بذرة التجمع الإيمانى حول الرسول كانوا من المستضعفين وهم الذين قد حملوا السيف ضد المشركين دفاعا عن أنفسهم من الاعتداءات التى تعرضوا لها ، فإذا انتقلنا إلى البلاد التى قيل إن المسلمين نشروا الإسلام فيها بحد السيف ، تجد أن المسلمين كانوا يخيرون أصحاب السلطة فى هذه البلاد بواحدة من ثلاث إما الدخول فى الاسلام أو دفع الجزية أو القتال، حتى الجزية كان يعفى منها الشيخ والطفل والمرأة وكل غير ذى قادر ، ولم تكن هذه الجزية إلا مشاركة ممن لم يسلموا فى نفقات الدفاع عنهم ، وقد رأينا خالد بن الوليد أثناء فتح الشام بعد أن أخذ الجزية من أهل مدينة «حمص» يعيدها إليهم فى إحدى مراحل المعركة مع الروم حينما أصبح غير قادر على الدفاع عنهم .

ثم إن شعوبا كثيرة لم تصل إليها جيوش الإسلام ، فى إفريقيا واندونيسيا وغيرها

دخلت فى الإسلام بأختيارها حينما سمعت بالإسلام وعرفت عنه ماجعلها تتخذه دينا .

وهكذا فالإسلام إذا اتيح له الوصول إلى كل بقعة فى الأرض وجد طريقه إلى القلوب والعقول ، ولكن الذى يمتنع عن الاسلام ويمنع غيره عنه ، يكون قد ارتكب جرمين ، فى حق نفسه ، وجرما فى حق الآخرين الذين وقف دونهم والإسلام ، وذلك كما رأينا أيام الرسول ، والذين لايكتفون بالكفر لأنفسهم فيجبرون غيرهم على أن يظلوا على كفرهم ، لعلمهم أنهم لو تركوا وشأنهم لآمنوا لما فى القرآن من حلاوة حتى أنهم كانوا يقولون **﴿وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ فصلت ٢٦** لأنهم يعلمون أن للقرآن تأثيرا لو تركت آذان الناس تسمعه لاستلت من نفوسهم النكران وهذه شهادة بكذبهم لأن القرآن لو لم يكن من عند الله وأساطير الأولين كما ادعوا لقالوا اسمعوا لهذا القرآن ولكنهم لم يفعلوا لعلمهم أن القرآن حق وصدق .

إغراء لصاحب الحسنات

● لماذا جعل الله القرآن آخر كتبه المنزلة ؟

ـ حينما يقول الحق **﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾ المائدة ٤٨** فإنه يعنى أن القرآن الكريم كتاب الله الخاتم لكتبه المنزلة ، والذى نزل بالحق الثابت فى قضايا الكون ومطلوب حركة الانسان ، فلا يمتد إليه تحريف ولا تغيير ، إذن فالحق فى مدلوله والحق فى ثبوت نصه ، والحق فى مناسبته لكل الأزمنة المختلفة حتى يوم القيامة .

فلقد خلق الله الخلق لمهمة هى أن يشهدوا ألا إله إلا الله وأن يعمروا ذلك الكون بما أمدهم الله به من عقل يفكر وطاقات تنفذ ومادة فى الكون تنفعل لهم ، فإن أرادوا الحياةمجردةعن اى ترف أو اسعاد فلهم من مقومات الأرض مايعطيهم وان ارادوا أن يرتقوا بأنفسهم فيستعملون العقل فى الطاقة التى خلقها الله والمادة التى خلقها ، ليأخذوا أسرار الله فى الوجود وهى كثيرة تنفعل وتعمل لنا وإن لم نعرف أسرارها مثل الجاذبية ، والكهرباء سالبها وموجبها تعمل لنا وإن لم نعرف أسرارها ، ومثل هذه الأشياء موجودة فى الكون وإن لم نكتشفها إلا مؤخرا ، لأن الحق حين يريد ميلاد سر فى الكون للبشر ييسره لهم ، فإما أن يأتى ميلاد السر الكونى بعمليات العقل عن طريق مقدمات استعملها البشر فوصلوا الى النتيجة كحل التمرين الهندسى الذى يعطيه الأستاذ لتلاميذه

بمعطيات يستنبطون منها المطلوب اثباته ، وهكذا لو بحث العقل فى الشىء معمليا وتجريبيا توصل لميلاد السر الكونى واكتشافه ، وإما أن يأتى ميلاد السر الكونى بالصدفة لأن وقت ظهوره الذى أراده الله قد حان فيكون الباحث يقوم بتجارب فى ناحية معينة فيكتشف سرا فى ناحية أخرى .

فإذا كان الحق يريد من الإنسان أن ينفعل ذلك الانفعال ليصل إلى أسرار الكون فما الذى يبدد طاقات الإنسان ؟ إنه تصادم الأفكار والأهواء نتيجة اختلافها ، فأراد الحق أن يضمن اتفاق الأهواء لأن الأفكار المادية لااختلاف بين البشر فيها فلا توجد كهرباء روسية ولا كهرباء أمريكانى ، ولا كيمياء شرقية ولا كيمياء غريبة ، لأن المعمل لاهوى له والتجربة لاتحابى والذى يدل على ذلك أنهم حين يتفقون فى معطيات الطاقة التجريبية يحاول كل معسكر أن يسرق من المعسكر الآخر ماسبقه إليه ليدخله على حضارته ، بينما فى الأهواء البشرية كل واحد يخرجها عن دائرته ويمنع دخولها إلى معسكره فنجد المعسكر الشيوعى يمنع دخول الأفكار الرأسمالية وتجد المعسكر الرأسمالى يمنع دخول الافكار الشيوعية إليه ، وذلك لأن الأهواء لاتلتقى أبدا إنما الأمر المعلمى يلتقى ، ولهذا فإن الحق سبحانه حين أنزل منهجه لحركة الحياة فى الأرض بافعل ولا تفعل أراد ان يضمن عدم تعاند الأهواء ، والحق يقول **﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض﴾ المؤمنون ٧١** ، فتدخل الحق لينظم حركة الإنسان فيما تختلف فيه الإهواء فبعث الله رسوله خاتما بالمنهج، أما المسائل المعلملية التجريبية فقد تركها الله للبشر لأنهم لن يختلفوا فيها ، لذلك كما ذكرت من قبل عندما عرف الرسول ﷺ أنهم يلقحون النخل سألهم عن السبب فقالوا ليصلح وينتج ثمارا، فقال لهم : لو لم تلقحوه لصلح ، ولكنه لم يصلح ، فقال لهم الرسول **«أنتم أعلم بشئون دنياكم»** وأى شئون هذه الدنيا ؟ إنها الشئون التجريبية لا الشئون التى تخضع للحركات الأ هوائية فهذه تتدخل السماء لتنظمها ، وقد تدخلت السماء بحسب مراحل نضج العقل الإنسانى وتقدمه ، لأن للكون طفولة وفتوة وشبابا ، ونضجا ورجولة ، فبعث الله بالمرسلين بما يتناسب مع هذه الأعمار فى كل زمن وبما يناسب كل قوم فى بيئتهم ، حتى التقى رشد الزمان ورشد الإنسان فبعث الله محمداً خاتما لرسالات السماء، وقد ائتمن أمة محمد الذين آمنوا برسالته ليكونوا مأمونين لحماية حركة الحياة بالمنهج

أنزله الله على رسوله ليوكِّل الله كل مؤمن ليؤدب كل خارج على المنهج بما شرعه الله فى المنهج ، وذلك عكس ماكان يحدث قديما حين تفسد الأمور فتتدخل السماء لتؤدب العصاة من البشر وقت أن كانوا منعزلين عن بعضهم ، فلكل قوم نظام حركتهم وداءاتهم وآفاتهم ، حتى جاء الإسلام على اجتماع البشر جميعا على إلغاء فوارق الزمن والمسافات فيصبح الداء فى الشرق فلا يبيت إلا وهو فى الغرب ، والعكس صحيح فاتحدت الداءات ، فكان ولابد ان يكون الداء واحد لذلك جاء الرسول جامعا للزمان والمكان ، ومانعا لأن لا يأتى رسول بعده ، ولهذا إذا جاء الانسان ليتعلم من المنهج افعل ولا تفعل ، وجدت أن المنهج محروس بالمنهج بعكس ماقبل الإسلام حيث كان المنهج محروسا بأصحاب المنهج وموكولا لهم أن يحافظوا عليه ، ولأن مطلوب المنهج من المنهج أن يحافظوا عليه فكان عرضة لأن يطاع ويُعصى ، فُعصى حفظهم للكتب نسيانا أو اكتمانا أو إهمالا أو تحريفا أو تغييرا وتبديلا والإتيان من عندهم بما يخدم أهواءهم ، فلما عصى أمر الحفاظ على الكتب عند أهل الكتاب وجاء الاسلام بمنهجه وهو القرآن لم يرد الله وقد جرب البشر فلم يحفظوا كتبه السابقة أن يستأمنهم على حفظ القرآن فتولى الحق حفظه فيقول سبحانه **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ الحجر آية ٩** ، فتولى الله حفظ القرآن، لذلك فهو مهيمن على كل الكتب لأنه لم يسمه تحريف فبقى كما هو عليه منذ أنزله الله على رسوله حتى اليوم وإلى قيام الساعة ، إذن يكون الحكم بما أنزل الله حكما صحيحا صائبا ، لذلك يقول الحق **﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله﴾ المائدة ٤٨** والحكم مأخوذ من الحكمة «بفتح الحاء والكاف» وهى بمعنى «اللجام» يحكم به الحصان ليشكمه حتى إذا أتى ليشرد هنا أو هناك لايستطيع وهكذا الحكم بما أنزل الله يمنع أهواءنا من أن تتعاند ، ويجعلها تتساند ليتحقق استقرار المجتمع الإيمانى ، ومنهج الله يأمرنا أن يحكم به صالح أمور الحياة غير الخاضعة ـ للبحوث المعملية والتجريبية ، فقد جاء الاسلام ليوصل العقيدة وليأتى بالأحكام التى شرعها فى كل كتبه السابقة فلا يمكن أن يكون «الزنا» حراما فى زمن وحلال فى زمن آخر ، ولا يمكن أن تكون السرقة حلالا فى زمن وحراما فى زمن آخر ، فالقيم الإيمانية لا اختلاف فيها ، وعدم احترامها والجرأة عليها لايصيب فردا بذاته وإنما يصيب كل أفراد المجتمع ، ولكن إذا عرف المنتهك

لحرمات الله وحدوده ماسيقع له من عقاب فسيحاسب نفسه ألف مرة قبل أن يقدم على جريمته ، أما إذا أهملت أحكام الله وابتعد المجتمع عن منهج الحق ، فإلى جانب ماسيصيبه من أضرار فيما بينه وبين بعضه فإنه يتعرض لعقاب الحق فى الآخرة لأن مرجعنا جميعا إلى الله فى الأخرة يحاسبنا ثوابا وعقابا على مافعلناه لأن الرسول قد أبلغ وهو شاهد علينا يوم القيامة فلا حجة لنا ولكن لماذا جعل الله المرجع اليه يوم القيامة كما يقول الحق **﴿إلى الله مرجعكم جميعا﴾ المائدة ٤٨** لأن ذلك يعنى أن بعض الناس سيثابون ، وبعضهم سيعذبون ، وهذا إغراء لصاحب الحسنات أن يزيد منها ، ومنع لصاحب السيئة أن يفعلها .

مفـــاتيح الغيـــب

● ماهى حدود معرفة الغيب والعلم به بين الله والانسان ؟

ـ هو سبحانه لديه مفاتيح الغيب ولديه الخزينة نفسها التى فيها الغيب ، والغيب هو ماغاب عنك ، وهو نوعان : غيب غاب عنك ومعلوم لغيرك ، فهو غيب ليس مطلقا ولكنه غيب إضافى كأن تكون مسروقا ولاتعرف من سرقك بينما السارق يعرف ، والغيب عند البشر يعلمونه إذا كانت له مقدمات تصل إلى الحقيقة ، أما الغيب عند الله فهو الغيب المطلق الذى لايعرفه أحد إلا بأمر الله .

وهؤلاء العلماء الذين اكتشفوا الجاذبية الأرضية ، واكتشفوا الكهرباء ، كانت هذه الاكتشافات مغيبات لها مقدمات ، أدت الى اكتشافها .

والتنويم المغناطيسى الذى يقولون بأنهم من خلاله يقرأون الأفكار أو يقرأون مالايرونه ، فيقولون لك أخرج من جيبك فلوسك وعدها جيدا دون أن ينظر إليك ، ثم يقولون لك : فى جيبك مثلا سبعة قروش ، فيكون ذلك صحيحا ، وهذا ليس بغيب يدعون أنهم يعرفونه بدليل أنك لو أخرجت فلوسك من جيبك دون أن تعدها وطلبت من أصحاب التنويم المغناطيسى هؤلاء أن يعرفوا كم عددها فإنهم لن يعرفوا .

إنما الذى يعرف الغيب هو الله لأن الغيب من عند الله ومفتاح الغيب عند الله **﴿ويعلم مافى البر والبحر﴾ الانعام ٥٩** ، والحق إيناسا لخلقه عندما يأتى

بشيء غير محس يأتى بأشياء محسة ، «فالبر» محس للناس ، بما فيه من جمادات ونباتات وحيوانات وبلاد وطرق .. الخ ، «والبحر» من الممكن أن يشاهده الناس لكن عالم البحر أخفى من عالم «البر» وكل يوم نكتشف أشياء جديد تفى عالم البحار .

﴿وماتسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين﴾ الانعام ٥٩ .

والورقة لاتسقط إلا بعد أن تكون قد أدت مهمتها للنبات بعد التمثيل الكلوروفللى ، وتكون الثمرة ، فالحق يعلم سقوط الورقة بعد انتهاء مهمتها ويعلمها وهى تؤدى مهمتها ، فهو يعلم كل شيء عنها ، حتى كيفية سقوط الورقة ، على جنبها أو رأسها حسب الأجواء المحيطة بمكان هبوطها ، ولكن لماذا الحق يذكر «علمه» بسقوط الورقة ؟

يريد الحق أن يوضح لنا إذا كانت الحياة التى لاتتعرض لثواب وعقاب مثل حياة الورقة ، هو يعلمها ، فكيف للأشياء التى تتعرض لثواب وعقاب ، أليست جديرة بأن يعلمها الحق ؟ .

وذلك يجعل الإنسان يتأمل ويعلم أنه مادامت ورقة لاتسقط إلا بعلم الله ولا ثواب ولا عقاب لها ، فإن الحق يعلم كل شيء عن الإنسان الذى يثاب ويعاقب ، من باب أولى .

﴿ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس﴾ يعنى كل كائن فى الوجود إما أن يكون رطبا أو يابسا **﴿إلا فى كتاب مبين﴾** يعنى ليس فقط للعلم به ، بل إنه مكتوب فى كتاب لماذا ؟ .

ليدلك على أن أحداث الكون لاتسير عشوائيا بل بنظام محكم ، كل شيء فيه مسجل ومكتوب ، لهذا يأتى كل منا يوم القيامة وأعماله مسجلة عليه فى كتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها حتى لايظلم أحد .

هذه المفارقات لماذا ؟

الوجود الذى نراه مبنى على المفارقات ، وعليها نشأت حركة الحياة ، ونشأ الايمان بقدر الله فى خلقه ، فهذا طويل وذاك قصير ، وهذا أبيض وذاك أسود ، وهذا مبصر وذاك أعمى وهذا غنى وذاك فقير ، وهذا صحيح وهذا سقيم ... الخ .

● **هذه المفارقات .. لماذا هى موجودة ؟ .**

ـ موجودة حتى يكون مثلا الصحيح فتنه للمريض ، والمريض يكون فتنه للصحيح فينتظر المريض للصحيح نظرة إيمان بقدر الله فيه ، ولو نظرت بقدر الله فى غيرك فآمنت بحكمة الله فذلك هو الإيمان .

وذلك يوضح أن الحق نثر المواهب فى الخلق ولم يجمعها فى إنسان واحد ، ولم يجمعها فى كل انسان ، وإلا مااحتاج أحد إلى أحد ولا يكون هناك تعاون بين الناس وبعضهم ، ولذلك وزع الحق المواهب بين خلقه حتى يحتاج الناس لبعضهم ويكونوا مترابطين ترابط حاجة ، وماتظنه سلبا عند إنسان فهو إيجاب له ، لأن الله يعوضه ، ولذا يقولون «كل ذى عاهة جبار» ، ويكون صاحب العاهة تذكيرا لمن ليست له تلك العاهة ، لأنه يمكن للإنسان ألا يلتفت لنعمة الله فى عينيه إلا عندما يرى «أعمى» يتعثر ، ولكن الله يعوض هذا الكفيف فيجعله يقود المبصرين بعلمه ومواهبه مثل عميد الأدب العربى طه حسين ، والأصم الذى لايسمع ، أرهف العالم بالسيمفونيات الموسيقية مثل «بيتهوفن» ، والذى قاد الفتوحات ودوخ العالم ، أعرج وهو «تيمور لنك» .

دفاع عن طه حسين

● **المفكرون الذين بدأوا حياتهم بالشك ثم انتهوا الى اليقين فهل يؤاخذهم الله على تلك البدايات ؟**

ـ الشطارة أن الانسان إذا ظلم وارتكب المعصية ثم تاب إلى رشده وتاب ، غفر الله له ، لذلك علينا ألا نأخذ الناس بما كانوا عليه فى بدء حياتهم وإنما يجب أن نؤاخذهم بما انتهت عليه حياتهم .

وأذكر أننا ونحن فى بدايات حياتنا التعليمية كنا ندرس أدب وشعر أبى العلاء المعرى والمتنبى ، فوجدنا بأشعارهما بعض الإلحاديات ، فزهدنا فى المعرى والمتنبى ، فمثلا يقول المعرى «تحطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ، ولكن لايعاد لنا سبك» ، فالمعرى هنا ينكر يوم القيامة وفى رأيه أن الزمن يفنينا ولا يعاد لنا بعث ، فلما ابتعدنا عن أصحاب مثل هذا الشعر الإلحادى ، جاء لنا ذات يوم صديق هو الشيخ «فهمى عبد اللطيف» وقال «لقد رأيت المعرى فى المنام هذه الليلة وهو غاضب منك لأنك جفوته» ، فقلت

لصديقى لابد لنا أن نعيد معرفتنا بالمعرى ، فوجدنا للرجل عذرا معنا وله حق ان يغضب منا ولاننا عندما رحنا نقرأ شعره الذى قاله بعد ذلك وجدناه قد راجع نفسه وعاد يعترف بالبعث والقيامة فيقول

«زعم المنجم والطبيب كلاهما : لاتحشر الأجساد ، قلت : إليكما

أن صح قولكما فلست بخاسر وإن صح قولى فالخسارة عليكما» .

فما قاله المعرى فى بدايات حياته من إلحاديات نتيجة لما يعيشه من حالة من الشك التى أوصلته فيما بعد ذلك إلى اليقين والإيمان الراسخ العميق ، وهكذا يتبين لنا أن آفة أصحاب الفكر أنهم يسجلون كل خاطر لهم ، والناس لاينظرون للمناسبات والأوقات التى قيلت فيها هذه الخواطر والأفكار ، ويغفلون عما انتهت إليه الخواطر والأفكار فى النهاية.

لذلك فعميد الأدب العربى د. طه حسين وغيره ، كالدكتور مصطفى محمود ، بدأوا حياتهم الفكرية متشككين ثم انتهوا إلى الهدى واليقين ، ولهذا يجب ألا نحاسبهم ونؤاخذهم على أوليات خواطرهم وما كتبوه فى مرحلة الشك ، لأنهم بعد ذلك ثبت إيمانهم وكتبوا فى الإسلام وعنه كأفضل مايكون ، فقد انتهت حياتهم الى التوبة والصلاح .



الفصل السادس

من دلائل العلم والقدرة

لو نسبت كل شيء في النهاية لأصله .. تكون نسبته لله .. فيكون هو الذى حرث وبذر وزرع

الشعراوى

● دعانا الله إلى التأمل فى آيات كونه .. فما الذى نجده من دلائل قدرته فى مجال العلم ؟

ـ إن الحق سبحانه حين يصدر آية من ايات كونه فى آية من آيات قرآنه فيجب أن نستحضر لذلك كل صفات الجلال وكل صفات الكمال لأن الحق سبحانه جعل له أسماء تدل على متعلقاتها فكلمة قادر تدل على القدرة على كل شىء فى الوجود ، وكلمة حكيم ، تدل على أن كل شىء يصدر عن حكمة ، وكلمة رازق تدل على أن كل مرزوق هو من خير الله وفيضه على الوجود الى مالا نهاية ، وهكذا نجد أن كل كلمة سمى بها الله نفسه تدل على صفاته وإذا كان الحق متصفا بكل صفات الكمال فلابد أن كل فعل صادر منه بالغ الكمال والقدرة والحكمة .

لذا حينما يقول الحق **﴿إن الله فالق الحب والنوى﴾ الانعام ٩٥** فإن لذلك حكمة ، فالفلق هو أول مظهر من مظاهر الحياة فى الكائن النباتى ، فالحبة إذا مستها رطوبة تنفلق ، وهى وإن كانت فى ظاهرها هامدة ساكنة لاحياة فيها منظورة لنا إلا أننا يجب ألا نأخذ معنى الحياة بمعنى وجودها فينا فقط من حس وحركة و إن لم نجدها فلا يعنى ذلك أن لاحياة فى هذا الشىء الذى نراه ، لأن لكل مخلوق حياة تناسب مهمته ولكن الحياة الكاملة وجدت فى الإنسان أعلى الكائنات خلقا وحياة وحركة ، وأعطاه الحق حياة أخرى تجعل لحياته قيمة ، لأن الكافر له حس وحياة وحركة ، وما الذى يجعل لغير الكافر قيمة فى الحياة ؟ إنه الايمان الذى له منهج على يد رسول ليعطى حياة أخلد وأوسع وأبقى ، وهذه هى أرقى حياة جعلها الله لأنسان .

وإذا كانت نعمة الإيمان والإلتزام بمنهج الله فى «افعل ولاتفعل» يتمتع بها كل من ارتضى الله ربا ومحمدا رسولا وقرآنه كتابا ودستورا ، فان نعم الله فى كونه كفيلة لمن يتأملها من غير المؤمنين أن يسارعوا إلى الإيمان ، وأدعى للمؤمنين أن يزدادوا إيمانا على إيمانهم ومن هذه النعم الكونية لله أنه **﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ الانعام ٩٦** .

فالإصباح هو مكان وجود وضوح الأشياء أمام رؤية العين ، لأنك لو سرت فى الليل المظلم وكانت هناك أشياء أنت أقوى منها لحطمتها ، ولو كانت أقوى منك لحطمتك ، إذن

فالمشى فى الظلمات بلا نور يجعلك تضطرب ، فلابد من الإصباح يبين لك المسائل بعد أن تقوم للحركة من نومك الذى استرحت به فى الليل ، لذا يقول الحق .

﴿الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ الانعام ١ .

الظلمات إذا ماأصابنا الكد والتعب من الحركة فلابد أن نستريح ونهدأ وتسكن حركتنا ، لذلك فلابد من الإظلام ، وإلا لو نمت وفيه ضوء فإنه سيترك أثرا فى تكوينك ، ولن تتمكن من الراحة ، ولذلك فإن الحق يمنع عنك الضوء ليمكنك من الراحة ، إذن فالظلمات والنور نعمتان لكل منهما دور فى حياتك وإن كان الله قد قدم الظلمات على النور .. **﴿وجعل الظلمات والنور﴾** فذلك لأنك لن تستطيع الانتفاع بحركتك فى النور إلا بظلمات الليل وسكنك فيه ، ولكن الإنسان مع تقدمه باكتشاف الكهرباء وإضاءة المصابيح واختراع التليفزيون لم يحاول أن يستفيد بها بالقدر الذى يحفظ له حركته ونشاطه .

فنجد بعض الناس أو معظم الناس يحلو، لهم إضاءة المصابيح طوال الليل والسهر امام التليفزيون ويطول السهر إلى مالا نهاية بوجود « الفيديو» فيقوم مثل هؤلاء الناس إلى أعمالهم فى الصباح مرهقين مكدودين .

لذلك أقول خذوا كل نعمة من نعم الله بقدر وجودها النافع لكم ، فلا تستغلوا مثلا نعمة الكهرباء بإضاءة المصابيح طوال الليل والسهر وإقامة حفلات الأفراح حتى مطلع الفجر لأن هناك المريض والطالب الذى يذاكر ، فلابد أن نراعى غيرنا ليراعينا غيرنا ، فأجعل النهار للحركة ، والليل للراحة والسكون ، فما جعلهما الحق إلا لتنظيم حركة حياتك.

والليل وقته الذى جعله الله حتى يزيل الحق الظلمة المتراكمة فيجعل الصبح ينفلق ، فلم يجعل الحق الشمس تفاجىء الليل بالطلوع ، لا بل جعل الصباح يجىء أولا ، والصبح هو من ظهور الضوء حتى شروق الشمس ، وهذه مسألة طبيعية وصحية أيضا كما اكتشف علماء العيون ، فهم عندما يجرون عملية فى عينى إنسان ويربطونها بالأغشية فإنهم بعد انتهاء العملية لايزيلون هذه الاغشية فجأة بل بالتدريج حتى لاتفاجأ العين بالضوء مما يتعبها .

لذلك كان من نعمة الحق أن جاء الصبح ليفلق ظلمه الليل فلقا هادئا ثم تجىء الشمس لتفلق الصبح .

ومن نعم الحق أيضا أن جعل **﴿الشمس والقمر حسبانا﴾ الانعام ٩٦** ، «وحسبان» يعنى تحسب بها الأشياء ، فتحسب السنة بدورة الشمس ، والقمر تحسب به السنة الهجرية .

ولذلك يقول الحق فى آية أخرى **﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ سورة الرحمن ٥** لأن الشمس والقمرلم يكونا حسابنا لنا إذا لم يخلقهما الله بحسبان ، فلو لم يكونا بحسبان مضبوط لما كانا حسبانا .

وفى الحساب الدينى يؤخذ بحساب القمر في النسك والعبادة إلا فى مسألة الصلاة فيؤخذ فيها بحساب الشمس ، وفى مسألة تحديد يوم عرفة يؤخذ بحسبان القمر فى نفس الوقت الذى يؤخذ فيه بحساب الشمس في بداية اليوم وانتهائه .

ومن رحمة الله أن جعل شهور الصيام والعبادة بحساب القمر ، لأن الشمس تعطى الطقس الواحد فى الزمان الواحد ، فكل ديسمبر ويناير «برد» ، لكن فى الشهور القمرية يأتى رمضان مرة فى عز البرد ومرة فى عز الحر ، وذلك لعدالة التوزيع بين المكلفين لأن المسلمين فى منطقة باردة يصومون رمضان وهو أكثر راحة من المسلمين فى المناطق الحارة ، لذلك بحساب شهر الصيام بالشهور القمرية يأتى بالنسبة لمسلمى المناطق الحارة فى شهور الشتاء ، وهكذا يجىء رمضان ليصادف كل الفصول وكل الشهور الشمسية لتتاح بركته فى الصيام كله وكذلك الحج .

ولم يكن ليحدث هذا لولا أن جعل الله الشمس والقمر حسبانا وذلك لايمكن أن يحدث إلا بتقدير الحق العزيز العليم الذى قدر كل شىء فهدى ، فلا شىء يخرج عما قدره الحق لأنه عزيز لاشىء فى صنعته يتأبى عليه ، وعزة الله بعلم ، لأنه قد يكون واحد عزيز بجبروت .

ثم يقول الحق **﴿وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ الانعام ٩٧** يتحدث الحق عن النجوم وهى الأشياء اللامعة التى تراها ليلا ، وليس عدم رؤيتك إياها

نهارا أنها غير موجودة لأن ضوء الشمس يحجبها عن رؤيتك لها ، وقد جعل الحق ضوء النجوم بسيطا لأنه عرف أن حركة حياة الناس من الممكن أن تجعلهم يسيرون بالليل ، كالناس الذين يحرسون الأمن لابد أن يسهروا ، لذا الحق أحتياطيا قال **﴿منامكم بالليل والنهار﴾ الروم ٢٣** لأن حركة الناس تختلف ، فقد يعمل بعض الناس ليلا وينامون بالنهار .

فجعل الحق «النجوم» ليهتدى بها السائرون ليلا ، لذا كان العرب يقولون للسائر ليلا اجعل هذا النجم أمامك أو خلفك لتهتدى به .

وضوء النجوم أشبه مايكون «بالوناسة» ضوء خافت على قدر الضرورة ، ولكن هل النجوم فقط للاهتداء فى ظلمات البر والبحر ، لو كانت هذه مهمتها فقط لكانت متساوية الأحجام ولكنها مختلفة ، فمنها حجم كبير ، ومنها حجم صغير ، ومنها البعيد ومنها القريب ولأهمية النجوم قال الحق **﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ الواقعة ٧٥ ، ٧٦** ، إذن فالنجوم مزايا أخرى وإلا لتساوت أحجاما ومكانا ومهام .

والعلم يكشف لنا مع تقدمه عن بعض تلك المزايا التى للنجوم ، وقد قيل لكثرة النجوم أن لكل إنسان نجما خاصا به وكما فلق الله الحب والنوى وفلق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا والنجوم لتهتدوا بها ليلا ، فإنه سبحانه أيضا **﴿وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ ـ الأنعام ٩٩** .

فكل شىء لايوجد لله فيه شبهه شريك يبقى هو الذى عمله ، إنما فى الزراعة يمكن يقول أنا حرثت الأرض وبذرت وزرعت ولكن لو فكر لوجد أن الأرض التى حرثها خلقها الله ، والبذرة التى بذرها خلقها الله ، والطاقة التى للانسان والتى حرث بها وبذر بها الطاقة التى خلقها الله فيه .

إذن لو نسبت كل شىء فى النهاية لأصله تكون نسبته لله فيكون هو الذى حرث وبذر وزرع ، ولكن الحق احترم جهدك ، فأدخلك شريكا معه ، ولكنه دعاك فى نفس الوقت لتتأمل الحقيقة فقال **﴿أفرأيتم ماتحرثون ؟ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ؟﴾ الواقعة ٦٣ ، ٦٤** ، قال لنا أنتم حرثتم فقط ، ولكن لو رددتم

المسألة تجدونها كلها لله ، فأنت حرثت بالمحراث والمحراث من حديد ، والحديد من أرض الله ، أسلته وصهرته بالنار التى خلقها الله ، وصنعت المحراث بالفكر والطاقة التى خلقها الله لك ، لكن الحق احترم جهدك ولكن الأسباب لاتخرج عن الحق لذا يقول **﴿لونشاء لجعلناه حطاما﴾ الواقعة ٦٥ .**

ونحن نرى زرعا ينمو ويكبر وقبل حصاده يصاب بآفات تهلكه .

ويقول الحق **﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون ، أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾ سورة الواقعة الآيات ٦٨ - ٧٢** فقد ذكر الحق الشىء ونقيضه حتى لاتفتن فى الأشياء بل تستقبل الأشياء بإمكانية اعدامها ، لذا قال الحق **﴿أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ ٥٨ - ٥٩** ثم جاء بما ينقضه فقال **﴿نحن قدرنا بينكم الموت ومانحن بمسبوقين﴾ ٦٠** ومن هذا يتبين أن الحق جاء بالشىء ونقيضه الزرع **﴿لو نشاء لجعلناه حطاما﴾** - والماء **﴿لو نشاء جعلناه أجاجا﴾** . ماعدا «النار» التى ذكرها الحق دون أن يجعل لها نقيضا حينما قال **﴿أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾** ، لم يقل الحق بعد ذكره للنار ، «نطفئها»، بل قال **﴿نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين﴾ الواقعة ٧٣** وذلك ليربطك بنار الآخرة ، فتظل متيقظا لاتحاول أن ترتكب ذنبا أو معصية ، تؤدى بك إلى النار فكل شىء كما ذكرنا راجع إلى الله ، ومع كل يوم يتقدم الانسان يعرف ماوراء الظواهر والأشياء من قدرة الله وعظيم صنعه ، فمثلا لم نكن نعرف ماوراء إنزال الماء من عملية كونية كبيرة ، فلما أردنا أن نقطر قارورة ، مياه نأتى بموقد لغلى الماء ليمر البخار فى أنابيب تمر بأوساط باردة ، فيتكثف الماء ويطلع ماء مقطر ، فانظر كم يكلفنا كوب ماء مقطر ، لكن لما ينزل الماء منهمرا لانلتفت للقدرة التى وراء هذا المنهمر ، لذا يقول الحق

﴿أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾ آية ٦٩ سورة الواقعة.

وانظر في عالم النبات يقول الحق **﴿وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه﴾ الانعام ٩٩ .**

فنحن لما نرى مثلا «خوخ» أو «مشمش» لانرى فيه إلا نوعا من الفاكهة ، ولكن لكل نوع من الفاكهة درجات فهناك «الخوخ السلطانى» بذرته نظيفة ، ونوع آخر من «الخوخ» بذرته فيها «لحم» إنما لها لون مختلف وطعم مختلف وكلها كما يقول الحق **﴿يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل﴾ الرعد ٤ .**

وذلك لنعرف أن طلاقه قدرة الحق لايقف أمامها شىء ، وانظر أيضا إلى فصائل «البرتقال» تجد برتقال «بسرة» وبرتقال بلدى وبرتقال «بدمه» ، وفصيلة أخرى هى «اليوسفندى» أنواع مختلفة للشىء الواحد ، لذا تجد فى الجنة يأتى الحق لمن فيها بالرزق فيظنون أنه نفس رزق الدنيا ، ولكن ليس هذا صحيحا ، يقول الحق **﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها﴾ سورة البقرة ٢٥** صحيح متشابه ولكنه مختلف فى أكله وطعمه ، وانظر لقدرة الله فى «حبة العنب» على سبيل المثال ، تجد القشرة لها طبيعة مختلفة عن «لحمها» ، وعن «بذرتها» فالقشرة باردة يابسة ، «واللحم» حار رطب ، مما يختلف عن طبيعة البذرة فتجد ثلاث طبقات فى الحبة الواحدة .

كل ذلك لتعرف أن المسألة ليست أوتوماتيكية بل بطلاقة قدرة الحق ، وهذا هو السبب فى أن الحق عندما يتكلم عن ثمار الجنة يأتى بثمار مثلها فى الدنيا ، لأنه لو أتى فى الجنة بثمار مختلفة لقلنا أنها لو وجدت فى الدنيا ستكون كذلك ، ولكنه يأتى فى الجنة بمثل فاكهة الدنيا ولكن طعمها مختلف ليبين طلاقة القدرة .

والحق لم يخلق مثل هذه الثمار لملء المعدة فقط بل لتشبع ملكات الحس والترف والجمال فيقول **﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾ الانعام ٩٩** ، لتغذى كل الملكات فى النفس الانسانية لتملأ عينيك ونفسك من الثمر الجميل وتتبعه حتى ينضج ،

وهذا هو معنى (وينعه) انظر اليه حتى ينضج ، وذلك بغرض إشاعة الاستلذاذ بنعم الكون، حتى من لايملك هذه الثمار ينتفع بإمتاع نظره إليها ليشيع الانتفاع بنعم الله حتى لغير مالكها .

وفى أنفسكم افلا تبصرون

● أين نجد آيات الله فى أنفسنا حين يلفتنا الله الى التأمل فيها عندما يقول ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ ؟ الذاريات ٢١

ـ يقول الحق **﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ غافر ٥٧** ، أى أصعب من خلق الناس ذلك رغم أنك لو نظرت فى نفسك كما أمرنا الحق **﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾** لوجدت فيها أسرارا وعجائب نكتشفها كلما تقدمت العلوم ، فمثلا حرارة الانسان العادية «٣٧» حتى فى القطب الشمالى والجنوبى ، فلماذا لم تستطرق حرارة الإنسان مع الجو فتنخفض مع البرودة ، وترتفع مع ارتفاع الحرارة ؟ إن الله خلقك ولك ذاتية مستقلة عن كل ماحولك بحيث تظل درجة حرارتك «٣٧» فى القطب وخط الاستواء ، والأعجب من هذا إنك تجد جفن العين درجة حرارته «٩» ولو كان «٣٧» لاحترق ، وتجد درجة حرارة الكبد « ٤٠ » ، فكيف لايحدث استطراق فى درجات الحرارة فتتساوى .

إنها قدرة الخالق الذى خلق كل شىء وجعل له ميزانا دقيقا ليؤدى مهمته ، وانظر أيضا حين تأكل «أرز» مثلا ، يحدث أن تنحرف بعض حبات الأرز فبدل أن تدخل «البلعوم» ومنها الى «المرىء» «والمعدة» تتجه إلى القصبة الهوائية ولكنك تجد على القصبة الهوائية حارسا اسمه «لسان المزمار» يطردها وتجد نفسك «تكح» غصبا عنك لتطرد حبات الارز التى أوشكت على الدخول فى القصبة الهوائية ، فأنت لم تفعل هذا بعقلك وإلا كنت «مت» وانتهت حياتك ، وإنما هو نظام دقيق أعده الله وأودعه فيك لحمايتك وسبحان الله .

لولا الآخرة لأخذ المؤمنون مقلبا

● ماهى النظرة الاسلامية التى يجب أن ننظرها للموت ؟

ـ يستقبل الناس «الموت» استقبالا أحمق ، فإذا مات شاب ، يقولون : إنه لم يلحق

يتمتع بشبابه ، وكان من المفروض أن يقولوا «يابخته لقد نفد من الدنيا بجلده» ولو مات وهو طفل صغير ، «وانت زعلان ليه» إنه يدخل الجنة ، فلماذا يحزن الناس على موتاهم ؟

إن الموت يقرب الانسان من الوصول إلى الغاية النهائية التى خلقت من أجلها الدنيا لأن الدنيا أتفه من أن تكون غاية ومقصدا ، وآفة الناس أنهم يجعلون الوسائل ، غايات ، والدنيا حياتك فيها خيرا او شرا هى وسيلتك للآخرة ، بداية النعيم الدائم والخلود ، أو الخلود فى العذاب الدائم ، وكلما عجل الله «الموت» لانسان كان ذلك خيرا له فربما لو عاش أكثر مما عاش لتعرض للفتنة ، ولذلك إذا يئست من حياتك فى الدنيا ، لاتتمنى الموت ولكن قل كما علمنا الرسول ﷺ «اللهم أحيينى مادامت الحياة لى زيادة لى فى كل خير ، وتوفنى مادامت الحياة زيادة لى فى كل شر» .

والحق يقول **﴿الذى خلق الموت والحياة﴾ سورة الملك ٢** بدأ بالموت أولا ثم الحياة ثانيا ، وذلك حتى يستقبل الناس الحياة وفى ذهنهمماينقضها حتى لايعتبروا الدنيا غاية ، بل هى وسيلة الى الآخرة وإلا لو كانت الدنيا غاية لأخذ المؤمنون «مقلبا» لأنهم ألزموا أنفسهم بما يلتزم به الآخرون من منهج الله ، لأن المحسن المؤمن ، دائما «تعبان» لأنه وضع نفسه فى قالب جديد حتى لايظلم هذا أو ذاك ، أما العاصى المسىء فهو مرتاح لأنه يعمل أى حاجة وأى شهوة لذلك؛ العدل يقتضى أن يأخذ كل إنسان ثواب عمله ، لأن منطق الفطرة يقتضى أن نعرف أن المستقيم لايمكن أن يكون مثل المنحرف ، لذلك فإن أحدا ممن ليس لهم دين عندما رأى ظالما يذوق فى حياته عاقبة ظلمه قال : لن يموت ظلوم ينتقم منه ، ولكنه لما رأى ظالما مات دون أن ينتقم منه أحد قال بفطرته «إن وراء هذه الدار الدنيا ، دار أخرى يجازى فيها المحسن بإحسانه والمسىء باساءته» .

النوم من آيات الله

● يقول الحق ﴿وهو الذى يتوفاكم بالليل﴾ الانعام ٦٠ .. مالمقصود بـ «يتوفاكم» هنا ؟

ـ يتوفاكم هنا معناها ينيمكم ، لأن النوم ليس اختياريا لأنك عندما تريد أن تنام لاتستطيع ذلك برغبتك وتحاول أن تأخذ المنومات .

إذن فالنوم عملية قهرية يجريها الله عليك لأن جهازك الجسمانى لم يعد قادرا على الحركة لأنه صار مجهدا ، ويتوفاكم بالليل ليست من الوفاة التى تعنى الموت لأن الموت فصل الروح عن الجسم ، أما يتوفاكم بالليل أى ينيمكم ويجعلكم كالموتى ولاتشعرون بشىء حولكم رغم أن الروح لازالت فى أجسادكم ، وهذا دليل يريد الحق أن ينبهنا إليه فى ضرورة أن تعرف أن الروح فى الجسم ليست هى التى تعطيه الحياة بدليل أن الله يجعل الروح فى جسدك وينميك فتصبح غير قادر على التصرف ، وذلك له حكمة ، حتى لايفتن أحد فى الروح ، ويفتكر إنها بذاتيتها هى سبب الحياة ، بدليل أن الله أنام أهل الكهف ثلاثمائة سنة وتسعة ، وأراحهم فى أجسادهم ومع ذلك لايشعرون بأى شىء حولهم.

والنوم نعمة من الله جعلها فى التكوين الذاتى ، لذا وإن حاولت النوم فلن تنام ، ولذلك يقال عن النوم «إنه ضيف إن طلبته عنتك ، أى أتعبك ، وإن جاءك أراحك» ، وذلك حتى لو نمت على حصى أو زلط أو فى ظل ضوضاء ، ولأن النوم نعمة فقد قال الحق **﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار﴾ الروم آية ٢٣** ، لأن فيه كائنات نومها بالنهار ، وكائنات نومها بالليل مثل الانسان ، والتعبير القرآنى **﴿ومن آياته منامكم﴾** يدل على أن النوم هو آية من ايات الله لاتقدر عليها .

وحين أراد الرسول أن يقرب المسائل بين النوم والموت والاستيقاظ والبعث ، قال ص «إنكم لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون» .

فالله يصيب الروح بالشلل فى الإنسان فى حالة النوم ، ولكنه ينزعها عنه فى حال الموت ، ولكل حالة قانونها ، وأنت حى لذلك حالات يقظة ، وسيطرة الروح على حالاتك الاختيارية ، فإذا نمت أصبحت روحك مشلولة وليست لك حركات اختيارية ، ولكن تبقى الحركات الاضطرارية كحركة التنفس وحركة القلب .

وللنوم قانون ليس كقانون الاسيتقاظ فأنت تنام ترى واحدا يلبس جلبابا مثلا أحمر أو أبيض فكيف رأيته وعينك مغمضة ؟ إذن فهناك وأنت نائم أشياء ومدركات أخرى غير العين ترى بها الوجود ويلغى الزمن ، ولكل نائم عالمه الذى يعيش فيه ، فنجد واحد نائم يحلم أنه مع أحبابه وفى نفس السرير ينام معه واحد آخر ويحلم أنه قابل أعداءه ويضربونه ، ويمكن يكون النائمان الإثنان فى «لحاف» واحد ، ولايدرى أحدهما بالآخر .

معنى قبض الملائكة

● **الحق يقول ﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ آية النحل ٢٣ أى الذين تقبض الملائكة أرواحهم بعد أن استوفوا أجلهم ، ولكن لماذا تقبض الملائكة أرواحهم أليس ذلك الأمر لله ؟**

ـ نعم إن أمر قبض الأرواح لله يحدد انتهاء الآجال ويوكل تنفيذ الأمر إلى «عزرائيل» والملائكة مع «عزرائيل» وتوضح ذلك الايات التالية فيقول الحق **﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ الزمر ٤٢** ويقول **﴿يتوفاكم ملك الموت﴾ السجدة ١١** ويقول **﴿توفته رسلنا﴾ الانعام ٦١** فهل هذا اختلاف في أساليب القرآن أم فى ولاية قبض الأرواح ؟ إنه اختلاف فى ولاية قبض الأرواح فالله هو صاحب الكلمة فى هذه القضية ويتولى «عزرائيل» وجنوده إنفاذ كلمة الله ولنضرب لذلك مثلا ولله المثل الاعلى.

لو فيه طالب رسب وقال إن المدرسين سقطونى صح ولو قال الناظر سقطنى صح ولو قال مدير المنطقة أو الوزير أو الدولة سقطتنى يبقى صح لماذا ؟ لأن القوانين واللوائح التى بنى عليها التعليم فى نجاح الطلبة ورسوبهم صدر بها الامر الأعلى من الوزارة فى إطار سياسة الدولة فى التعليم وعلى مديرى المناطق التعليمية والنظار والمدرسين أن يقوموا بتنفيذ هذه القوانين واللوائح ، فكلهم فاعلون فى إسقاط الطالب لذلك عندما يقول الحق أنه هو الذى يتوفى الأنفس حين موتها ، ويقول يتوفاكم ملك الموت ، ويقول توفته رسلنا تكون كلها صحيحة .

● **ماذا يقصد الله بمن تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ؟**

ـ **﴿ان الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم﴾ النحل ٢٨** والظلم يقتضى ظالما ومظلوما ، فالظالم هو المؤمنين والمظلوم هو نفسه والمظلوم فيه هو شخصيته الإيمانية والذى حدثته نفسه بالمحالفة والانحراف عن شخصيته الإيمانية التى تقبل بها منهج الله ، ونفس المؤمن التى حدثته بالمخالفة أمر يدلنا على أن هناك حوارا بين المؤمن ونفسه ، فإذا تغلبت النفس الإيمانية تسمى نفسا مطمئنة ، وإذا تغلبت النفس الشريرة تكون نفسا أمارة بالسوء لم تنصف صاحبها ، ولكنها أضرت به ، والحق سبحانه وتعالى

يعطينا صورة للصراع فى الشخصية الايمانية بين قواها الشريرة فيقول فى سورة المائدة **﴿واتل عليهم نبأ بنى آدم بالحق إذا قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك﴾** فقال من عنده الحق لأخيه الظالم لماذا تغضب منى أنا **﴿إنما يتقبل الله من المتقين ، لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين، إنى أريد أن تبوء باثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين﴾** ورغم تحنين أخيه له فقد زينت له نفسه قتل أخيه فقتله ، ليجنى شهوة عاجلة بالزواج من الفتاة التى هى حلال أخيه ، ولكنه فى النهاية لم يتمتع بشهوته لأنها شهوة مؤقتة ولذلك **﴿فأصبح من النادمين﴾** ، فظلم النفس يقدم عليه الانسان ليحقق لها نفعا سريعا ، والله يريد لها نفعا أبديا ولكن حب النفس للشهوات يجعلها تتطلع إلى النفع العاجل تاركة النفع الأبدى ، وبذلك يكون ظلم الإنسان لنفسه .

عالم الملك والملكوت

● **ماهو المقصود بعالم الملك والملكوت كما تحدث عنه القرآن الكريم ؟**

ـ هناك فرق بين عالم الملك وعالم الملكوت كما يوضح الحق فى قصة موسى مع العبد الصالح فى سورة الكهف ، حيث يروى الحق عن هذا العبد الصالح **﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ الكهف ٦٥** ، أخذ منهج الرسول فأداه حق الأداء واتصل بالحق ، لذا كان موسى يتعجب وهو ينظر فى عالم الملك ، والعبد الصالح ينظر فى عالم الملكوت ، وكلاهما معذور لأن كل واحد يرى الأمور بمنظار عالمه ، ولذلك كان العبد الصالح يقول لموسى حينما طلب منه أن يعلمه مما علمه الله **﴿إنك لن تستطيع معى صبرا﴾ الكهف ٦٧** ، ولكن موسى كان مصمما **﴿ستجدنى إن شاء الله صابرا﴾ الكهف ٦٩** ولكن العبد الصالح اشترط عليه **﴿فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء﴾ الكهف ٧٠** لأن العبد الصالح يعلم أن موسى يعيش فى عالم الملك ، وهو يعيش فى عالم الملكوت ، ولهذا لن يملك موسى نفسه حينما يرى العبد الصالح يخرق السفينة .

﴿قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا﴾ الكهف ٧١
لأن خرق السفينة فى الظاهر إفساد بمنطق وقانون عالم الملك ، لذلك يقول العبد الصالح لموسى ألم أقل لك بإنك لن تستطيع معى صبرا ، لأنك لاتدرى ما وراء عالم الملكوت ، عالم الغيب فيتذكر موسى .. «خلاص» افتكرت لاتؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا .

ثم جاءت حكاية الغلام **﴿حتى إذا لقيا غلاما فقتله﴾ آية ٧٤** ، مما يجعل موسى يخرج عن وعده بالصبر مستنكرا **﴿أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا﴾** ، ويذكره العبد الصالح .. ألم أقل لك فى البداية إنك لن تستطيع أن تصبر ، فيحاول موسى أن يعد من جديد مؤكدا وعده **﴿إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنى عذرا﴾ الكهف ٧٦** .

ثم تأتى حكاية الجدار الذى أقامه العبد الصالح فى القرية اللئيمة التى رفضت إطعامها مما جعل موسى يفرغ صبره **﴿قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ الكهف ٧٧** ، ولم يكن هناك بد من الفراق بين رجلين كل منهما يعيش بمنطق وقانون عالم مختلف عن الآخر ، فقال العبد الصالح **﴿هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا﴾ ٧٨** ويبدأ العبد الصالح فى توضيح ماظنه موسى إفسادا بينما هو فى حقيقة الأمر إصلاح ، فقد خرق السفينة لأنها **﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها﴾ ٧٩** .. لماذا ؟ لأنه **﴿كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾** ، إذا رآها سليمة ، وإذا وجد بها عيبا تركها وهذا مافعله العبد الصالح لنجاة السفينة ، فالمقارنة هنا بين سفينة مخروقة ، ولا سفينة أصلا ، وليس بين سفينة مخروقة وغير مخروقة ولو علم موسى ذلك لخرق السفينة بنفسه .

أما حكاية الغلام الذى قتله العبد الصالح ، فقد كان «أبواه مؤمنين» ، وفى علم الله الذى علمه العبد الصالح أن هذا الغلام لو عاش سيكون لأبويه فتنة وسيضطران لتدليله والسرقة من أجله **﴿فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا﴾ ٨٠** فأمر الله العبد

الصالح بقتله ليظل أبواه على إيمانهما وسوف **﴿يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما﴾ ٨١** ولكن ماذنب الغلام ؟ إننا لاندرى ولا موسى شيئا ، ولكن الحق سبحانه والعبد الصالح الذى علمه الحق يعلمان الحكمة فقد عجل الله بالغلام إلى الجنة مباشرة قبل أن يشقي فى الدنيا ، إذن فقد عمل فى الغلام «جميلا» وعمل فى الوالدين «جميلا» أيضا .

أما حكاية الجدار فى القرية اللئيمة عندما **﴿أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما﴾ ٧٧** حيث طلبا طعاما ، وطلب الطعام شهادة صدق فى الضرورة ، فلو قالا اعطنا «فلوسا» يمكن نقول «هيدكنوها» ، إنما لما واحد يقول «اعطنى رغيفا» يبقى صادق ، ومادام موسى والعبد الصالح استطعما أهلها فأبوا ، إذن يكون أهل هذه القرية لئاما ، ولكن العبد الصالح لما رأى جدارا آيلا للسقوط فأقامه وبناه مما أغضب موسى ، وقال له إذا كان أهل القرية رفضوا إطعامنا فعلى الأقل مادمت أقمت هذا الجدار الذى كان سينهار ، أن تطلب على ذلك أجرا ولكن العبد الصالح أوضح له الحقيقة الغائبة عنه وهي أن هذا الجدار كان **﴿لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكات أبوهما صالحا﴾ ٨٢** ولو تركت الجدار ينهار لاكتشف أهل القرية الكنز وضاع على الغلامين اليتيمين ، ولهذا يبدو فى الظاهر أن إقامة الجدار مكافأة لأهل القرية اللئيمة ، ولكنه عقاب لهما ، فأنا بنيت هذا الجدار بهندسة مضبوطة مثل القنبلة الزمنية حتى يبلغ الغلامان اليتيمان سن الرشد **﴿أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما﴾ ٨٢** ، بعد أن ينهار الجدار فى التوقيت الزمنى الذى ضبطت انهياره عليه ، فيبقى أنا عملت فصل ومقلب فى أهل القرية اللئيمة .

طريق الخلاص

وهكذا يتبين فى «عالم الملكوت» العالم الذى يغيب عنا وراء الأسباب ، مالا يتبين لنا فى «عالم الملك» عالم الظواهر والأسباب الذى يرتقى منه إلى عالم الملكوت كل من أخلص العبادة لله والتحم بالحق فيفيض عليه من فيوضاته ، ويعلمه من علمه ، كما فعل الله مع العبد الصالح وكما فعل مع إبراهيم الذى «وفى» ماأمره الله به فأطلعه على الملكوت

وأسراره ليكون من الموقنين بما يجريه الله عليه من قضائه ، فقد أيقن بنجاة الله له من النار فلم يجزع فجعلها الله عليه بردا وسلاما ، وأيقن بنجاة ابنه من الذبح فسلم أمره لله ، ففدى ابنه بذبح عظيم بل ورزقه مولودا ثانيا **﴿باسحاق نبيا من الصالحين﴾ الصافات ٢١٢ .**

وهكذا من يثق فى حكمة الله ينجيه الله ، لأن طريق الخلاص من أى نائبة أو ابتلاء هو الرضى الحقيقى بها ، ولهذا مثلا إذا حدث أن ابن أحدكم توفاه الله ، لا تجزعوا واعملوا فورا على إغلاق باب الحزن ، واعلموا أن ماأخذ منكم أنتم معوضون عنه بأجر وثواب خير مما سوف تأخذونه فى الدنيا .

كذلك كان خليل الله إبراهيم موقنا بما وراء الظواهر ، وأطلعه الحق على ملكوت السموات والأرض **﴿وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لاأحب الآفلين﴾ الانعام ٧٦ .**

لقفد راح إبراهيم ينظر لكوكب حتى غاب ، فانتقل من بزوغ إلى أفول ، **﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون﴾ الانعام ٧٨** ولقد وقف العلماء أمام قول ابراهيم مشيرا إلى كل من الكواكب ثم القمر ثم الشمس قائلا **﴿هذا ربى﴾** فكيف يقول إبراهيم هذا ربى ؟ كيف يجرى« على نفسه لفظ الشرك ؟ ولقد حاول العلماء تخليص إبراهيم من هذا الموقف باجتهاد اتهم تبريرا لقول إبراهيم عن الشرك لله **﴿هذا ربى﴾**.

ونقول إن الله الذى ذكر على لسان إبراهيم عن الشركاء **﴿هذا ربى﴾** هو الذى قال **﴿وإبراهيم الذى وفى﴾ النجم ٣٧** ، فلابد أن لها من وجه .

فالقوم يعبدون الكواكب ويريد إبراهيم أن يلفتهم لفساد عقيدتهم ، ولو كان قد قال لهم منذ البداية «ياضلالية» فلم يكونوا يسألون عنه أو يستمعون إليه ، وإنما سايرهم لإقناعهم ، لأن هناك شيئا فى الجدل اسمه مجاراة الخصم حتى يستولى على قلبه ولا ينفر منك حين يعلم أنك متعصب عليه منذ البداية .

وقول ربراهيم عن الكواكب **﴿هذا ربى﴾** ليس اعترافا منه بربوبيتها ، وذلك مثلا

ولله المثل الأعلى حين يكون هناك خطيب «قصير» القامة ، بينما الفتاة التى يخطبها «طويلة» فتستنكر ذلك قائلة : هذا خطيبى ؟ كذلك قال ابراهيم متهكما ﴿**هذا ربى**﴾ ؟

فتكون بذلك كلمتا ﴿**هذا ربى**﴾ إنكارا وليس إقراراً ، ولكنه ساير القوم ليلزمهم الحجة ، فربه حاضر دائما لايغيب بقدرته وصفات كماله وجلاله ، أما معبوداتهم فتحضر وتغيب فكان يقول ﴿**لا أحب الآفلين**﴾ .

ومنطق إبراهيم في مجاراة القوم يدل على أنه ليس متعصبا منذ البداية ، حتى يقنعهم أن الكواكب التى يعبدونها لاتصلح للعبادة ، فاتبع المنطق ليستأنس به آذان المشركين ويحقق نيته فى إنكارها والكفر بها .

والحق لما حكى لنا فى قوله ﴿**ولكن من شرح بالكفر صدرا**﴾ **النحل الآية ١٠٦** بعد قوله ﴿**إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**﴾ ، فإن ذلك يعنى أن الله يبيح النطق بكلمة الكفر لنجاة المؤمن ممن يجبره ويقهره على النطق بها ، ولاضرر فى ذلك مادام القلب مؤمنا لأن العبرة ليست فى نطق اللسان بقدر ماهى يقين القلب ، فإذا أباح الحق كلمة الكفر لنجاة مؤمن فكيف بإبراهيم النبى المرسل ألا يتركه يقولها من قبيل المسايرة والإقناع بالمنطق لينقذ أمة من الكفر ؟

وألم يقل الحق ﴿**ويوم يناديهم أين شركائى**﴾ **فصلت ٤٧** ، الله يقول ذلك تهكما ، والرسول حينما كان يدعو يقول «ياإله الآلهة» ، لأنه يعلم أن قوما ألهوا الأشياء فقال أنت إله الآلهة أى أنت الإله الحقيقى فوق كل مازعموا من آلهة .

إذن قول الحق ﴿**ويوم يناديهم أين شركائى**﴾ ، فى زعمكم أنتم .

والحق يقول أيضا ﴿**ذق إنك أنت العزيز الكريم**﴾ **الدخان آية ٤٩** ، لمن يعذبه ، فهل هو عزيز كريم أم ذليل مهين فى العذاب ، ولكنه أسلوب تهكم ، إذن قول إبراهيم «تهكم» فى صيغة السؤال ، أو بصيغة خبر ﴿**هذا ربى**﴾ للكوكب والقمر والشمس ، للإنكار .

ويلاحظ فى قول إبراهيم ﴿**فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى**﴾ **الانعام ٧٨** ، أنه لم يقل ﴿**هذه ربى**﴾ تأنيثا للشمس ، لأنه أراد أن ينزه كلمة «ربى» مطلقا من علامة التأنيث .

ونحن مثلا إذا أردنا أن نصف متصفا بالعلم نقول أنه «عالم» ولو كان لديه علم أكثر نقول إنه «عليم» ، ولو كان أكثر علما نقول عنه إنه «علاَّمة» ،

ولكننا نقول على الله إنه «عالم» و«عليم» ولا نقول عنه إنه «علامة» ـ بفتح العين وتشديد اللام ـ وذلك خوفا من لفظ التأنيث وإن كان للمبالغة .

وإذا عدنا إلى إبراهيم نجده فى النهاية يقول **﴿ياقوم إنى برىء مما تشركون﴾** ، من دون الله من عبادتكم للكواكب ، وإن غششتكم فلن أغش نفسى ، وهذا ماينطبق على رسول الله ص مما أدركته المرأة البلجيكية التى كانت تقرأ تاريخه ص فوجدت أنه كان هناك حراس للرسول حتى نزل قوله تعالى **﴿والله يعصمك من الناس﴾ المائدة ٦٧** ، فصرف الرسول الحراس عنه قائلا «إن الله قد عصمنى» فكان رد فعل هذه المرأة البلجيكية لهذه الرواية من سيرة الرسول أن قالت «إن خدع الناس جميعا فلن يخدع نفسه فى حياته» ، وإلا لو لم يكن صحيحا أن الله قد عصمه فكيف يترك نفسه ليقتلوه ، فصرف الرسول للحراس عنه يقين من عالم الملكوت والغيب أن الله قد حماه وحفظه ، وهذا اليقين من عالم الملكوت لايصل إليه إلا من اتقى وأخلص قلبه فيفيض عليه الحق من عطاءاته .

تكـريم الرســول

● ماذا أيضا من تكريم الله لرسوله ؟

ـ نلاحظ فى آيات القرآن الكريم أن الحق سبحانه حينما يخاطب أنبيائه ورسله يناديهم بمشخصاتهم فيقول الحق لآدم **﴿وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ البقرة ٣٥** ، ويقول لنوح **﴿قيل يانوح اهبط بسلام﴾ هود ٤٨** ويقول لإبراهيم **﴿ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ الصافات ١٠٤ ، ١٠٥** ، ويقول لموسى **﴿ياموسى إننى أنا الله﴾ القصص آية ٣٠** ، ويقول لعيسى **﴿ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين﴾ المائدة ١١٦** . وهكذا .

أما حينما يأتى خطاب الحق لرسوله محمد ﷺ فإنه يخاطبه ولا يناديه باسمه أبدا

إنما يقول له **(يا أيها النبى)** ، ويقول له **﴿يا أيها الرسول﴾** فيخاطب الحق رسوله محمدا بقوله **﴿يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر﴾ المائدة ٦٧** ، ويخاطب نبيه محمدا بقوله **﴿يا أيها الرسول بلغ ماأنزل اليك﴾ المائدة ٤١** ، وهكذا .

فقد أراد الحق أن يكرم رسوله ونبيه محمدا ﷺ ، خاتم الرسل ، ومجمع كل المناهج ، بأن يخاطبه بهذا التكريم وهذا التعظيم .

الرسول سمع تسبيح الحصى

● **يقول الله ﴿وإن من شىء إلا يسبح بحمده﴾ الاسراء ٤٤ ، فهل ذلك معناه أن ما فى ملك الله وملكوته حتى الجماد يسبح الله ؟**

ـ الحياة ليست حسا وحركة فقط ، وإنما طاقة كامنة ، بدليل أن الحديد به حياة ، حينما تمغنطه بالمغناطيس ثم تقربه من برادة الحديد فإنه يحركها ، وهذا دليل على أن قضيب الحديد به ذرات ولكنها دقيقة جدا لدرجة أنك لاتراها ، إذن فمادام الحديد وهو جماد يتفاعل مع غيره ، فإن هذا دليل حياة فيه .

وعمدتنا فى هذا القرآن الذى يقول **﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة﴾ الانفال ٤٢** إذن فالهلاك مقابله الحياة ، وإلا لماذا قال الحق فى اية أخرى **﴿كل شىء هالك إلا وجهه﴾ القصص ٨٨** فمادام كل شىء هالك ، والهلاك عكس الحياة ، يبقى كل شىء فيه حياة تناسبه ، لذلك حينما نسمع قوله تعالى **﴿وإن من شىء إلا يسبح بحمده﴾** ، فلا نتعجب لماذا ؟ لأن الحق قال **﴿ولكن لاتفقهون تسبيحهم﴾ الاسراء ٤٤** ، ولذلك تجد قول الحق **﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق﴾** ، لهذا عندما نسمع عن تسبيح الحصى فى يدى الرسول ، فلا نتعجب لأن الحصى يسبح أيضا فى يدى «أبى جهل» ، وعندما يسمع الرسول تسبيح الحصى ، فلا غرابة فى هذا ، بدليل أن «سليمان» سمع «النملة» تتكلم ، كما تحدث سليمان مع «الهدهد» .

فكل شىء خلقه الله ، به حياة وله لغة تناسبه ، يسبح بها خالقه ، سواء كان حيوانا

أو نباتا أو جمادا . ولكن العجيب أن كل هذه الأجناس التى خلقها الله ، تسبح الله ولا تعصاه بعكس الإنسان الذى سخر الله له هذه الأجناس ، وتركه مختارا يعبده أو يعصاه ، وقد كان من الأجدر بالإنسان أن يشكر الله الذى سخر له هذا الكون المسبح ، فى خدمته ، فكيف تسبح كل الكائنات وكل الكون المسخر للإنسان وخدمته ، بينما الإنسان متمرد ؟ ، والله قادر على أن يجعل كل الناس عابدين مسبحين ، ولكنه تركهم لاختيارهم ، لأن الله لايريد إخضاع قوالب ، بل خضوع قلوب .

أيهما أولا ... البيضة أم الفرخة

● **هناك سؤال يتحاور به الناس : هل كانت البيضة أولا أم الفرخة؟**

ـ هذه مناظرة تافهة لأنه ليست كل بيضة تخرج مخصبة ، لذلك لابد أن يكون مع «الفرخة» «ديك» ، يعنى زوجين اثنين ، بدليل قوله تعالى **﴿ومن كل شىء جعلنا زوجين﴾** فلابد أولا من وجود «الديك» «والفرخة» لخروج بيضة مخصبة ليخرج الكتكوت الذى يصبح بعد ذلك ديكا أو فرخة .

حيرة العلماء أمام النمل

● **ماذا فى حياة النمل من دلالة على عظمة الخالق ؟**

ـ تعجب العلماء كثيرا أمام حبات بيضاء كثيرة ، وجدوها أمام جحور «النمل» ، حتى اكتشفوا أن هذه «زبانات» الحبوب ، أى أماكن النمو فيها ، يقوم النمل بالتخلص منها ، لأنه لو لم يتزعها من هده الحبوب التى يخزنها ، فإنها سوف تنبت وتضرب بجذورها فى جحور النمل فتمزقها ، فمن الذى أنبأ النمل بهذا ؟

إنه سبحانه **﴿الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى﴾ سورة الاعلى آية ٢ ، ٣**

الحمد لله

لماذا نحمد الله ؟

ـ يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى :

يجب أن يوجد فى الكون «حمد» ، ولمن يوجه ؟ إلى الله .

وهذا الحمد أمر فطرى يجب أن يوجد فى النفس البشرية ، حمدا لمن عليك له شيئا من فضل .

ولكن خذ الحمد كله لله ، لأن الذى أمدك بشىء من أسبابه لو سألته عن تسلسله ، فإنه يصل إلى الله .

فالكون كله يخدمك ، لا عمل لك فيه ، من شمس وهواء وأرض وماء ونبات ، فقد أنزل الله آدم إلى الأرض ، فوجد كل هذه النعم الموجودة ، ونحن عندما ولدنا وجدناها تمدنا بكل مقومات الحياة التى لاتخضع لقدرة بشر ، ولا ادعاء بشر ، إنه سبحانه هو الذى أوجدها ، وكما أمد الحق الانسان بمقومات حياته المادية ، فقد أمده أيضا بمقومات حياته الروحية منهجا يصلح به حركة حياته .

أفلا يستحق هذا الخالق الأعظم أن نقول له :

الحمد لله ؟



الفهـــرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

كتب صدرت عن
دار الضيـــاء

١ – أحكام عبادات المرأة فى الشريعة الإسلامية

الدكتورة سعاد إبراهيم صالح

٢ – مبادئ النظام الاقتصادى وبعض تطبيقاته

الدكتورة سعاد إبراهيم صالح

٣ – دليل التعاون الاستهلاكى فى مصر (نفد)

٤ – دليل الحركة التعاونية فى مصر (نفد)

٥ – دليل الكهرباء والطاقة فى مصر (٤ طبعات)

٦ – النسخ وموقف العلماء منه

الدكتورة ثريا محمود عبدالفتاح

٧ – الحياة داخل حقيبة (قصص قصيرة)

السيد عبدالرءوف

٨ – رحلة إلى السعودية

محمد الحيوان

٩ – أضواء على نظام الأسرة فى الإسلام

الدكتورة سعاد إبراهيم صالح

١٠ – علاقة الآباء بالأبناء فى الشريعة الإسلامية

الدكتورة سعاد إبراهيم صالح

١١ – الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية فى الإسلام

الدكتور محمد رأفت عثمان

١٢ – أحكام الميراث والوصية فى الشريعة الإسلامية

الدكتورة سعاد إبراهيم صالح

١٣ – فكرية تسقط الحكومة

محمد الحيوان

١٤ – مأبقت الأيـام (شعر)

كمــال عمــار

١٥ – الشعراوى الداعية المجدد

إبراهيم عبدالعزيز

تحـت الطبـع

١ – سهرة خاصة جداً (قصص قصيرة)

ليلــى حســنى

رقم الإيداع ٣٠٦٤/ ١٩٩٢

مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية